رودس في مفترق زمنين:

يوميات الحصار التركي للجزيرة (١٤٨٠م)

في المصادر الأوروبية

دكتور/ إبراهيم سعيد فهيم محمود

أستاذ تاريخ وحضارة العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب ــ جامعة الإسكندرية

/

مـــقدمـــة:

عرفت الحروب الصليبية من بين ظواهر عديدة صاحبتها ظهور جماعات رهبانيـــة محاربة جمعت مسوح الرهبان وسيف الفرسان معا . ومثلت جماعة الإسبتارية **Knights of Saint John of Jerusalem** أحد أبرز تلك الجماعات ، وأشدها وطـــأة على المسلمين . ولقد جاءت نهاية الحروب الصليبية المبكرة في المشرق الإســـلامي ســـنة ١٢٩١م إيذانا بخروج بعض هذه الجماعات من على مسرح الأحداث نهائيا . بيـــد أن الأمر كان جد مختلفا بالنسبة لجماعة الفرسان الإسبتارية ؛ فقد شكل خروجها من الشام حلقة من حلقات الصراع المستمر بينها وبين العالم الإسلامي للآن . إذ لم تلبث أن اتخذت تلك الجماعة من جزيرة رودس قاعدة لها لإدارة حلقة أخرى من هذا الصراع ضد العالم الإسلامي ، لم تنته إلا بنهاية العصور الوسطي ونجاح الأتراك في إخراجهم منها إلى جزيرة مالطة سنة ١٥٢٢م .

ومن اللافت للنظر أن علاقة الإسبتارية بجزيرة رودس ارتبطت بثلاثة حصـــارات شهيرة ، أولها حصار استمر أربعة أعوام انتهي باستيلائهم عليهـــا بقيـــادة فولـــك أوف فيلاريت **Fulk of Villaret** سنة ١٣١٠م ، وآخرها الحصار الذي انتهي بهزيمتهم على أيدي الأتراك وخروجهم من الجزيرة سنة ١٥٢٢م . أما الأوسط وهو بيت القصيد فكان الحصار التركي للجزيرة سنة ١٤٨٠م ، والذي هدف منه السلطان محمد الفاتح (١٤٤٤م – ١٤٤٦م/ ١٤٥١م – ١٤٨١م) تدميرعش القراصنة القريب من شاطئه. ولكن نجاح الجماعة في الصمود أمام جيش وأسطول أحد أكثر سلاطين بـــني عثمـــان في العصور الوسطى شهرة ، أرجأ إلى حين مصيراً محتوماً للجزيرة لما يزيد عن الأربعين عاما.

وحري بالقول أن ذلك الحصار جاء في ظل تفوق عسكري تركي بري وبحـــري كاسح، ونقص في الإمكانيات البحرية للفرسان الإسبتارية وعدم قدرتهم على الدخول في صراع بحري مباشر معهم ، ومن ثم جاء اعتمادهم على التحصينات الدفاعية البريـــة في

صد الهجوم البرمائي التركي ([1]). وكان نجاحهم في ذلك مرجعه ترقبهم لهذا الهجوم قرابة ثلاث سنوات لم يشغلهم خلالها سوى انتظاره بالاستعدادات العسكرية والدبلوماسية والتموينية المستمرة .

ولعل تلك الاستعدادات وأحداث الحصار تكشف لنا صفحة من صفحات العلاقات الدولية تظهر تفوق مصالح الدول فيها على انتمائها الديني . ففي هذا الحصار نجد مماليك مصر يقفون إلى جانب فرسان رودس ضد الأتراك خوفا من توجه أطماعهم نحو الجنوب . ويأخذ فيه البنادقة جانب العثمانيين ولو بشكل حيادي دون الالتفات للخطر المحيط بجزيرة رودس المسيحية .

وليس أدل على الأهمية التاريخية لتلك الحادثة مما جاء في كتاب وليام وير **William Weir** "خمسين معركة غيرت العالم " ، حينما وضع حصار رودس واستيلاء الأتراك عليها سنة ١٥٢٢م في المرتبة التاسعة والعشرين من بين هذه المعارك الخمسين التي غيرت التاريخ في حقبه المختلفة ، واعتباره حصار الأتراك لرودس سنة ١٤٨٠م المحاولة الأول لقدرة الأتراك على إسقاطها ([2]) .

وتهدف دراستنا هذه إلى العرض بالتفصيل لأمر هذا الحصار من خلال المصادر المعاصرة من شهود عيان وغيرهم ، وكتابات المسافرين الأوروبيين المسيحيين واليهود العابرين للجزيرة زمن الحدث أو في وقت قريب من وقوعه ، فضلا عن بعض المصادر الأخرى ، والمراجع المتخصصة . كذلك تميزت الدراسة بوجود عدد من اللوحات المعاصرة التي صورت لنا الجزيرة وأحداث الحصار التركي لها سنة ١٤٨٠م وصفا دقيقا .

([1]) Peter d` Aubusson, Peter d` Aubusson Letter`s to German Emperor dated 13th of September 1480, in. John Taaffe, The History of the Holy, Military, Sovereign Order of St. John of Jerusalem; or Knights Hospitallers, Knights Templars, Knights of Rhodes, Knights of Malta, in four volumes, London, 1852, vol. III., pp.53-67.

([2])William Weir, 50 Battles that changed the World, the Conflicts that Most Influenced the Course of History, U. S. A., 2001, p. 161.

أولا ــ مصادر ومراجع الدراسة:

يأتي في مقدمة هذه المصادر من شهود العيان وليم كاورسا **Guillaume Caoursin** الذي ولد حوالي سنة ١٤٣٠م ، وهو فرنسي من إقليم الفلاندرز تخرج من جامعة باريس وحصل على درجة دكتور في الفنون الحرة ، وأستاذ في القانون . وعلى الرغم من عدم كونه فارسا من الفرسان الاسبتارية ، إلا أنه حصل لكفاءته على ثقة مجلس الجماعة ؛ فعُين سنة ١٤٦٢م في وظيفة نائب مستشار **vice – chancellor** . وفي سنة ١٤٦٦م صاحب وليم كاورسا المقدم الأكبر للإسبتارية بييرو ريموندو زاكوستا **Piero Raimondo Zacosta** (١٤٦١ – ١٤٦٧م) إلى روما كسكرتير في مؤتمر عام للجماعة تم بحضور البابا بول الثاني **Paul ii** (١٤٦٤م – ١٤٧١م) وفي ختام المؤتمر أُتخذ قرار بالفصل من الجماعة لكل من لا يرتدي زيها ، مع استثناء كاورسا من هذا القرار لشخصه . وبعد أن أمضى بروما بضعة أعوام عاد كاورسا لجزيرة رودس سنة ١٤٧٠م بصحبة مقدم جماعة الإسبتارية الجديد جان باتيست أورفيني **Jean Baptiste Orfini** (١٤٦٧ –١٤٧٦م) الذي تولى شأنها بعد وفاة المقدم الأسبق في روما ، ليوفده المقدم جان باتيست أورفيني في نفس العام (١٤٧٠م) ، ومن بعده المقدم بيير دوبسو **Pierre d` Aubusson** (١٤٧٦ – ١٥٠٣م) سنة ١٤٨٥م سفيراً لهما إلي البلاط البابوي .

وكانت السفارة الأخيرة بهدف طلب حماية البابا أنوسنت الثامن **Innocent viii** (١٤٨٤م – ١٤٩٢م) للجماعة ، وتهنئته بمناسبة تعظيمه . ولإعجاب البابا بالخطبة التي ألقاها كاورسا بتلك المناسبة لقبه بكونت البلاط **comte palatine** ، ومنحه لقب سكرتير بابوي . وفي العام التالي (١٤٨٦م) توجه إلى نابولي للتباحث مع الملك فرديناند **Ferdinand** عن الإجراءات التي ستتخذ بشأن جم شقيق السلطان التركي بايزيد الثاني (١٤٨١م ــ ١٥١٢م) الذي فر إلى رودس طلبا للملجأ. كذلك ذهب إلى روما سنة ١٤٨٨م للتشاور بشأن هذا الأمير . مثل هذا آخر ما عُهد إليه من أعمال ، إذ أمضى كاورسا ما تبقي من عمره مع أسرته فقد تزوج في نوفمبر سنة

١٤٨٠م ، وأهدته الجماعة يومها ألف قطعة ذهبية من عملة رودس . وجاءت وفاة كاورسا سنة ١٥٠١م خاتمة لنحو أربعين عاما قضاها في خدمة أخوة الإسبتارية ([٣]).

ولوليم كاورسا أكثر من عمل باللاتينية ، أبرزها العمل الذي يتعلق بموضوع البحث وهو بعنوان " وصف حصار رودس" **Descriptio obsidione Rhodiae** وفيه يصف الحصار التركي للجزيرة سنة ١٤٨٠م . وبالإضافة لذلك قام بجمع تشريعات جماعة الاسبتارية التي نشرت سنة ١٤٩٥م . وفي سنة ١٤٩٦م نشر الطباع جوهان ريجير **Johann Reger** في مدينة أولم **Ulm** كتابا مزود باللوحات يحتوي روايات وتعليقات كاورسا عن الأحداث التي وقعت بعد عام ١٤٨٠م مثل موت السلطان محمد الثاني ، والزلزال الذي أصاب جزيرة رودس ، وسيرة حياة الأمير التركي جم ([٤]).

وبطبيعة الحال ما يهمنا في هذا المجال هو كتاب كاورسا عن حصار الأتراك لرودس، الذي نُشر في أوروبا في نفس سنة وقوع الحصار (١٤٨٠م) . وهو نصا تاريخيا أُريد به أن يكون جزءاً من برنامج سياسي ودبلوماسي لكسب الدعم المسيحي الأوروبي لإسبتارية رودس في صراعهم مع الأتراك ([٥]) .

ويظهر نجاح الهدف الذي صُنف هذا العمل لأجله جليا في نشر تسع طباعين مختلفين للنسخة اللاتينية منه قبل سنة ١٥٠٠م . وبحلول سنة ١٥٠٨م كانت النسخة اللاتينية لوصف حصار رودس قد ترجمت إلى الإنجليزية والألمانية والدانمركية والإيطالية ، مما يدلل على شعبية كتاب كاورسا في شتى أنحاء أوروبا ([٦]).

([3]) Biographie Universalle Ancienne et Moderne, Rédigé par une Société de Gens de Lettres et de Savants, tome Septième, Paris, 1813, pp. 53-4.

([4]) Theresa M. Vann, Guillaume Caoursin`s Descriptio Obsidione Rhodiae and the Archive of the Knights of Malta, in. The Crusades and the Military Orders Expanding in the Frontiers of Medieval Latin Christianity, edited by Zsolt Hunyadi and Jozsef Laszlovszky, Budapest, 2001, pp. 111-2

([5])Theresa M. Vann, Guillaume Caoursin`s Descriptio Obsidione Rhodiae and the Archive of the Knights of Malta, p. 112.

([6])Ibid, Guillaume Caoursin`s Descriptio Obsidione Rhodiae and the Archive of the Knights of Malta, pp.113-4.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة اعتمدت على الترجمة الإنجليزية للنسخة اللاتينية من كتاب وصف حصار رودس . ولقد نشرت هذه النسخة سنة ١٤٩٠م بترجمة الشاعر جون كاي **Johan Kay** ، الذي ترجمها إلى الإنجليزية القديمة ليقدمها إلى الملك إدوارد الرابع **Edward the fourth** ، وكانت بعنوان "الأخبار الدقيقة ، وأحداث الانتصار المجيد لأهل رودس ضد الأتراك" **The Dylectable Newesse, and Tithynges of the Gloryous Victorye of the Rhodyans Agaynst the Turkes** (٧) .

ومن مصادر شهود العيان ممن حلوا بالجزيرة عقب الأحداث مباشرة ماري دوبوي **Mary Dupuis** الذي لا يعرف عنه سوى وصوله إلى جزيرة رودس بعد فترة قصيرة من تراجع الحملة التركية من على شواطئها . ولقد ألف عن الحملة مصدرا بعنوان الدفاع عن رودس ضد الأتراك سنة ١٤٨٠م **La Defense de Rhodes contre les Turcs en 1480** ، نُشر في ليون **Lyon** حوالي سنة ١٤٨٠-١٤٨١م . والعمل مفقود ويوجد في **Abbé Réné d`Aubert de Vertot, Histoire de Chevaliers Hospitaliers de S. Jean de Jerusalem, II, Paris, 1726, pp. 598-616** . وذلك بعنوان **"Relation du Siége de Rhodes en 1480 par Merri Dupui témoin oculaire"** " رواية حصار رودس سنة ١٤٨٠م بواسطة شاهد العيان ماري دوبوي " . ولقد سجل لنا اسمه في الكتاب ويُعتقد أنه ربما كان جنديا فرنسيا من أوفيرني **Auvergne** . ويبدو أنه اعتمد فيما دونه على الطبعة الأولى المنشورة لنص كاورسا ، وعلى المعلومات التي جمعها بنفسه من أفواه فرسان الجماعة وسكان الجزيرة أثناء وجوده بها ، وربما كان من بينهم قريبه بيير دوبوي **Pierre Dupuis** الذي كان

---

(٧) Guillaume Caoursin, Descriptio obsidione Rhodiae, Translated from the Latine of Guillaume Caoursin to the English by Jhon Kay (Poete Lawreate) under the Title: The Dylectable Newesse, and Tithynges of the Gloryous Victorye of the Rhodyans Agaynst the Turkes, Reprint of the 1490 Edition, W. Caxton, Westminster, included by A. Murray in. " The Crusades" , London, 1870, pp. 135-6.

أحد المشاركين في الدفاع عن رودس أثناء الحصار التركي . ومن المحتمل أيضا كونه أحد أقارب ريموند دوبوي **Raymond Dupuy** المقدم الأول التاريخي للجماعة ([8]) .

ويتميز تاريخ ماري دوبوي بايراد تفصيلات دقيقة عن أحداث الحصار مثل القول بتعرض قصر المقدم في اليوم الأخير من مايو لهجوم أدى لسقوط أحد مبانيه ، وتصدع وسقوط سقف وأعمدة قاعة طعام الأخوان الإسبتارية ([9]) .

وعلى الرغم من حصر كينيث م. سيتون **Kenneth M Setton** لوليم كاورسا وماري دوبوي كمصدرين معاصرين فقط لحصارالأتراك لجزيرة رودس سنة ١٤٨٠م ([10]) ، إلا أنه بالإمكان القول بوجود عديد من المصادر المعاصرة الأخرى اهتمت بأمر هذا الحصار . ونعني بهذا القول كتابات مجموعة من الرحالة الأوروبيين زاروا مدينة رودس عقب انتهاء الحصار التركي مباشرة . ومنها كتاب الفرنسي من أصل إسباني وقس مدينة فيرنو **Vernon** الفرنسية بيير باراباتر **Pierre Barbatre** ، وجاءت زيارته لرودس صيف سنة ١٤٨٠م بعد انتهاء رحلة حجه إلى الأراضي المقدسة بفلسطين ، وبعد أن جاءته ورفقته أثناء إقامتهم بقبرص أخباراً بواسطة سفن بندقية بهزيمة الأتراك ورفع حصارهم عنها . ووافق نزوله بالجزيرة صباح الأحد الحادي عشر من سبتمبر على متن السفينة البندقية كونتارينا **Contarina** بقيادة أوجستينو كونتاريني **Augustino Contarini** ، والتي حملت أيضا على سطحها ثلاثة حاجين آخرين هم الألماني فيلكس فابري **Felix Fabri** وحاج فرنسي مجهول ، والإيطالي سانتو براسكا **Santo Brasca** ، مع ضرورة ملاحظة تباين كتاباتهم في تاريخ وصولهم ومغادرتهم للجزيرة . ولقد غادرت السفينة جزيرة رودس في الخميس الموافق الرابع عشر من سبتمبر ، وعلى متنها الحجاج الأربعة الذين سجل كل منهم مشاهداته لمدينة رودس

([8]) Mary Dupuis, Relation du Siége de Rhodes en 1480 par Merri Dupui témoin oculaire, dans. Abbé Réné d` Aubert de Vertot, Histoire de Chevaliers Hospitaliers de S. Jean de Jerusalem , tome. II, Paris, 1726, pp. 598 – 9. Setton, Kenneth M., Pierre d` Aubusson and the First Siege of Rhodes (1480), in. Setton, Kenneth M., The Papacy and the Levant, 1204 – 1571: vol. ii, The Fifteenth Century, Philadelphia, 1978, Reprinted 1997, pp. 347, 618.

([9])Mary Dupuis, op. cit., p. 602.

([10])Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii., p. 347.

عقب انتهاء الحصار التركي . فلقد ترك لنا بيير بارباتر وصفا سريعا ولكن قيما بالفرنسية القديمة لأحداث الحصار التركي ، لعل أبرز ما يميزه عن غالبية المصادر الأخرى المعاصرة وفي مقدمتها شاهد العيان الأول وليم كاورسا ، تحديده بدقة لبداية ونهايـــة الحصـــار ، وتواريخ الهجمات الثلاث الرئيسة التي خاضها الأتراك ضد المدافعين عن رودس ، وقيام ملك المجر بحملة ضد الأتراك لعلها بغرض تخفيف الحصار التركي لجزيرة رودس في نفس توقيت الحصار ([11]) .

أما الألماني فيلكس فابري فقد رصد لنا كشاهد عيان تأثير ذلك الحصار على مدينة البندقية التي لم تعره اهتماما كبيرا نظرا للعلاقات الطيبة التي جمعتها يومهـــا بـــالأتراك ، وكذلك على رحلة الحج التي نظمتها البندقية سنويا لفلسطين . فضلا عن موقف أهـــل رودس منهم ومن سفينتهم البندقية فقد كانت حسب قوله أول سفينة تدخل ميناء المدينة بعد رفع الحصار التركي عنها ، بالإضافة لتسجيله بعض أحوال الجزيرة بعيد الحصـــار . ولقد تحدث فيلكس فابري عن مشاهدتهم لأشياء كثيرة أخري سوف يذكرها عندما يأتي على ذكر رودس في رحلة حجه الثانية سنة ١٤٨٣م ، ولكنه للأسف لم يفعل ([12]).

كذلك هناك ما تركه لنا حاج فرنسي مجهول . وهو رجل دين من مدينة بـــاريس مر كسابقيه برودس بعد انتهاء زيارته لفلسطين في شهري يوليو وأغسطس سنة ١٤٨٠م . وكان وصوله إليها كما ذكر ليل الأحد الموافق العاشر من سبتمبر في مكـــان يســـمى **(Lindos) Liendis** على متن سفينة الحجاج بعد أن شجعهم على التوجه إليهـــا وصول سفينة بندقية في الرابع والعشرين من أغسطس إلى قبرص ـــ حيث كانوا متوقفين ـــ تحمل أخباراً بانتهاء الحصار التركي لجزيرة رودس بهزيمة الأتراك ومغادرتهم للجزيـــرة بعد مقتل عدد كبير منهم . وتميزت روايته المدونة باللغة الفرنسية القديمة فيمـــا يخـــتص

([11]) Pierre Barbatre, Le Voyage de Pierre Barbatre à Jerusalem en 1480, edition critique d`un manuscript inédit par Pierre Tucco – Chala et Noël Pinzuti, dans. Annuaire Bulletin de la Société de l`Histoire de France, Années 1972-3, Paris, 1974, pp. 81-90,155-7, 160, 163.

([12])Felix Fabri, The Book of the Wanderings of Brother Felix Fabri (Circa 1480-1483 A. D), trans. By Aubray Stewart, in. Palestine Pilgrim`s Text Society, vols. vii-x reprinted from the edition of 1887 – 1897, U. S. A, 1971,vol. vii, pp.

بالحصار التركي لرودس بقصرها الشديد ، إلا أنه رصد لنا ردود أفعال سكان جزيـــرة القلعة الحمراء **Chasteau Roux** الواقعة بالقرب من رودس إزاء الأخبـــار الـــتي وصلتهم عن الحملة التركية الموجهة ضد جزيرة رودس (١٣) .

وهناك أيضا الإيطالي سانتو براسكا **h**الذي ولد عام ١٤٤٤م ، أو العام الذي يليه في مدينة ميلانو **Milano** ، وقدر له القيام بعدد من الوظائف الإدارية في بلاط عائلـــة سفورزا ، ليصبح لاحقا سنة ١٤٧٦م مستشارا في البلاط ، واستمر في تقديم خدماتـــه لأسرة سفورزا حتى وفاته ١٥٢٢م . وما يهمنا في هذا المقام أنه قرر في ســـنة ١٤٨٠م الذهاب في رحلة حج إلى فلسطين شأنه في ذلك شأن أصحاب المصادر الثلاثة المتقدمة . وخلال عودته من رحلته توقفت السفينة التي تحمله أمام ميناء مدينة رودس في التاسع من سبتمبر كما حدد ، ليمضي بها بضعة أيام غادرها بعدها وفق روايته في الثالث عشر مـــن سبتمبر . ولقد ترك لنا سانتو براسكا وصفا عن مدينة رودس بعد نهاية الحصار التركي لها بنحو ثلاثة أسابيع عرض فيه بشكل عام لبعض أحداث الحصار وحجم ما ألحقوه بالمدينة من دمار (١٤).

وبعد انتهاء الحصار التركي لمدينة رودس بحوالي سنة حل بها وتحديدا في الرابع من مايو سنة ١٤٨١م الربي الإيطالي ميشولم بن ميناحيم أوف فـــولتيرا **Meshullam Ben R. Menahem of Volterra** خلال رحلة له إلى فلسطين للاستقرار بها . وهو ينتمي لأسرة ثرية أقامت في مدينة فلورنسا في القرن الخامس عشـــر المـــيلادي . ونُشرت ذكريات رحلته لأول مرة في فيينا سنة ١٨٨٢م نقلا عن مخطوطـــة فلورنســـية متفردة بالعبرية . وأصبحت الرحلة متاحة للاطلاع بعد أن ترجمها إليكان ناثـــان أدلـــر للإنجليزية . ولقد ضمن لنا ميشولم بن ميناحيم مشاهداته لآثار الحصار التركي الأول لمدينة

---

(13) Anonyme, Le Voyage de La Saincte Cyté de Hierusalem avec la Description des Lieux, Portz, Villes, Citez et Aultres Passaiges, Fait l` An Mil Quatre Vingtz, Estant le Siege du Grant Turc à Rhodes et Regnant en France Loys Unziesme de ce nom, Publié par M. Ch. Schefer., Paris, 1882, pp. 107-116.

(14) Santo Brasca, Viaggio in Terrasanta di Santo Brasca 1480 con l`Itinerario di Gabriele Capodilista 1458 a cura di Anna Laura Momigliano Lepschy, Milano, 1966, pp. 17-22, 121 - 4.

رودس ، ولاسيما الدمار الذي لحق بحي اليهود وما طرأ عليه وعلى المدينة من إصلاحات بعد نحو تسعة أشهر من نهايته ([١٥]) .

ومن المصادر غير التقليدية التي يمكن الاعتماد عليها للتأريخ للهجوم التركي على المدينة ، ما خلفه لنا إيرهارد روويخ فون أوترخت **Erhard Reuwich von Utrecht** الذي يبدو من إسمه أنه من أصل هولندي ، وذلك لأنه لم يأت لنا مكتوبا وإنما جاء لنا في شكل عدد من اللوحات رسمها لنا هذا الرسام الحاذق بريشته ، عندما جاء مصاحبا للألماني برنارد فون برايدنباخ **Bernhard von Breydenbach** بداية من مدينة أوبنهايم **Oppenheim** الألمانية في الخامس والعشرين من أبريل سنة ١٤٨٣م ليسجل له في كتاب رحلته بالرسم والزخارف محطات الرحلة إلى فلسطين ومصر وأبرز مشاهدها . وكانت رودس إحدى محطات هذه الرحلة فأصابها حظا من رسومات هذا الرسام الذي لم يُعثر له على رسوم أخرى . ويظهر لنا رسمه لرودس حجم ما ألحقه بها الأتراك من دمار ، ولا سيما ببرج القديس نيقولا **Turris Sci. Nicolai** سنة ١٤٨٠م ، والذي كان لا يزال ماثلا للأعين حتى الثامن عشر من يونيو سنة ١٤٨٣م زمن زيارته لجزيرة رودس . ولقد بقي بالجزيرة حتى الثاني والعشرين من نفس الشهر مما أتاح له الانتهاء من الرسم الذي حفظه لنا التاريخ عن جزيرة رودس وأثار الحصار التركي لها ([١٦]).

يضاف لما تقدم بضعة مصادر معاصرة لاحقة على وقوع الحصار من أبرزها جورج لينجهيرا **Georges Lengherand** ، وهو بلجيكي وُلد بمدينة مونس **Mons** وانتخب عمدة لها سنة ١٤٧٧م ، واستمر في منصبه حتى سنة ١٤٨٨م ، أي بعد زيارته لمدينة رودس سنة ١٤٨٥م في طريق ذهابه للحج لفلسطين برفقة العديد من أهله

([15])Meshullam Ben R. Menahem of Volterra, Rabbi Meshullam Ben R. Menahem of Volterra (1481), translated and edited with an Introduction by Elkan Nathan Adler , in. Jewish Travellers, second edition with a Preface by. Cecil Roth, New York, 1966, pp. 156-7.

([16]) Hugh WM. Davies, Bernhard von Breydenbach and his Journey to the Holy Land 1843-4 a Bibliography compiled by Hugh WM. Davies, London, 1911, pp. iii, xi, xiii – xiv, xxiii - xxiv

ومواطنيه . ووافق وصول جورج لينجهيرا لرودس الأربعاء الثاني عشر من يوليو . ولقد حدد لنا بداية ونهاية الحصار التركي لمدينة رودس تحديدا دقيقا ، كما أشار للدمار الذي لحق بالمدينة وقلعة القديس نيقولا خلاله ، ولكنه لاحظ مع ذلك إعادة بناء كل ما دمره الحصار عندما مر بالمدينة بعد حوالي خمس سنوات من نهايته ([17]) .

فضلا عن هذا ، هناك رواية عوباديا جاريه دا بيرتينورو **Obadiah Jaré da Bertinoro** وكان ربيا إيطاليا من أشهر رجال الدين اليهودي في زمنه . هاجر لفلسطين سنة ١٤٨٧م ، وعرج على جزيرة رودس وهو في الطريق إليها . ومن مهجره أرسل ثلاث رسائل لأهله ومعارفه ترجمها إليكان ناثان أدلر للإنجليزية. وفي إحداها أورد تفصيلات للحصار التركي لمدينة رودس ، وبخاصة ما يتصل بهجمة الأتراك على حي اليهود بالمدينة وما لحق به من دمار ، والانسحاب المفاجئ لهم منه في رواية تختلط الحقيقة فيها بما يشبه المعجزة ([18]) .

وبالإمكان الاعتماد أيضا على ما أورده الإيطالي بيترو كاسولاس **Pietro Casola`s** الذي حل برودس في الخامس من يوليو سنة ١٤٩٤م وبقي بها حتى الثامن من نفس الشهر وهو في طريق ذهابه إلى فلسطين ، وكذلك في التاسع عشر من سبتمبر حتى الثاني والعشرين من ذات الشهر في طريق عودته من فلسطين إلى إيطاليا . لقد أشار للحصار التركي لمدينة رودس ولكنه أغفل أي تفصيلات له ، وكان جل ما لفت اهتمامه حجم وأعداد الأحجار التي ألقاها الأتراك على المدينة خلال الحصار وما خلفته من آثار([19]) .

([17]) Georges Lengherand, Voyages de Georges Lengherand Mayeur de Mons en Haynaut, à Venise, Rome, Jérusalem, Mont Sinaī & Le Kayre, 1485 – 1486, avec Introduction, Notes, Glossaire, par Le Marquis de Godefroy Ménilglaise, Mons, 1861, pp. 102 - 3

([18])Obadiah Jaré da Bertinoro, The Letters of Obadiah Jaré da Bertinoro, translated and Edited with an Introduction by. Elkan Nathan Adler, in. Jewish Travellers, second edition with a Preface by. Cecile Roth, New York, 1966, pp. 216-7.

([19]) Pietro Casola`s, Canon Pietro Casola`s Pilgrimage to Jerusalem in the Year 1494, annotated by. Margaret Newett, Manchester, 1907, pp. 204-11, 305-7.

بالإضافة لما تقدم هناك رواية الفرنسي جان مولينيه **Jean Molinet** . ولقد وُلد سنة ١٤٣٥م ، وتوفي عن عمر يزيد عن السبعين عاما سنة ١٥٠٧م . وهو شاعر ومؤرخ ومؤلف موسيقي . كما عمل أمينا لمكتبة مارجريت أوف أوستريا **Margaret of Austria** . وترأس مدرسة شعرية في برجانديا تسمى البلغاء العظماء **Grandes Rhétoriqueurs** ، تميز منتسبيها باستخدامهم المفرط للعب بالكلمات بالتورية . وقبل وفاته بستة أعوام أصبح كاهن في كنيسة نوتردام **Notre Dame** بمدينة فالنسيين **Valencienne** حيث مات بها في الثالث والعشرين من أغسطس من السنة المشارة إليها عاليه .

ولقد وضع جان مولينيه حولية نُشرت سنة ١٨٢٨م ، تغطي أحداث السنوات بين عامي ١٤٧٤– ١٥٠٤م . وفي الفصل الرابع والسبعين من الحولية الذي يشغل الصفحات من ٢٤٨– ٢٧٠ يقدم لنا وصفا مفصلا لحصار الأتراك لجزيرة رودس منذ وصول الأتراك للجزيرة وفق قوله في الثالث من مايو سنة ١٤٨٠م ، وإن كان سيتضح عدم دقة هذا التاريخ من خلال الدراسة ، وحتى رحيلهم عنها عقب وصول سفينتي ملك نابولي لنجدة الجزيرة وذلك في تاريخ لم يحدده بدقة ([٢٠]).

أما آخر المصادر التي أمكننا الرجوع إليها للتأريخ لهذا الحصار فهي وثيقة المتحف البريطاني . ففي ديسمبر ١٩٧٠م امتلك المتحف البريطاني وثيقة على قدر كبير من الأهمية التاريخية فيما يتعلق بموضوع الدراسة رغم صغر حجمها . إذ تتمثل في ورقة مطبوعة باللاتينية تتناول أحداث الهجوم التركي على رودس سنة ١٤٨٠م ([٢١]) .

إلى جانب تلك المصادر المعاصرة توجد بعض المراجع ذات الأهمية بالنسبة لموضوع الدراسة . يأتي في مقدمتها كتاب دومينيك بوهورس كاتب سيرة بيير دوبوسو مقدم اسبتارية رودس زمن الحصار ومؤرخ الجماعة ، ولا نجافي الحقيقة إذا ذهبنا للقول بإنه لا

([20]) Jean Molinet, Chroniques de Jean Molinet publiées pour la première fois d`après les manuscript de la bibliothèque du Roi par J. A. Buchon in. Collection des Chroniques Nationales Françaises, tome. XLIV, Paris, 1828, pp. 249, 269-70.
([21]) Michael Herzfeld, New Light on the 1480 Siege of Rhodes, in . The British Museum Quarterly, vol. 36. No. 3/4, Autumn 1972, p. 69.

يقل إن لم يزد أهمية على بعض المصادر المشار إليها . بل وبالإمكان مقارنتـــه في قيمتـــه بكتاب وليم كاروسا عن الحصار ، ولاسيما في استعراضه لسيرة بيير دوبسو قبل وبعـــد انضمامه لجماعة الفرسان الاسبتارية ، ودوره في مواجهة الحصار التركي لمدينـــة رودس سنة ١٤٨٠م ([٢٢]) .

ومثل المؤرخ الفرنسي رئيس الدير الأب رينيه أوبير دو فيرتو **L`Abbé de Vertot** في مؤلفه عن أخوان الإسبتارية من النصف الأول للقرن الثامن عشر واحـــداً من المراجع الثمينة للدراسة لما احتواه من معلومات جاءت معتمدة على سجلات الجماعة في مالطة كحصره لأسماء ووظائف قرابة مائة وتسعين ممن شاركوا في الدفاع عن مدينـــة رودس سنة ١٤٨٠م ، وأسماء وأعداد وجنسيات الأخوان الاسبتارية الذين قتلوا دفاعـــا عن المدينة ، فضلا عن احتوائه كما سبقت الإشارة على نص رواية ماري دبوي أحد أهم المصادر الأصلية للدراسة ([٢٣]) .

وتميز كتاب المؤرخ جون تاف **John Taaffe** عن جماعة الفرسان الاسبتارية بانفراده بترجمة بالإنجليزية لخطاب أرسله المقدم الأكبر بيير دوبسو في الثالث عشر مـــن سبتمبر سنة ١٤٨٠م للإمبراطور الألماني فريدريك الثالث المسالم **Frederick the Peaceful** (١٤٥٢م – ١٤٩٣م) يبشره فيه بانتصار المدافعين عـــن رودس علـــى الجيش التركي المحاصر للمدينة وانسحابه من أمام أسوارها ، ويعرض له الخطوط العريضة لهذا الحصار دون ايراد تفصيلات دقيقة له بالمقارنة بمصادر أخرى ([٢٤]).

كما استفدنا من كتاب إيريك بروكمان **Eric Brockman** الذي جاء بعنـــوان "حصارا رودس ١٤٨٠– ١٥٢٢م" في الاعتماد على ما جاء فيه من معلومات لمصدر معاصر لحصار سنة ١٤٨٠م هو الراهب الأوغســـطيني الأب جيـــاكومو دو كـــورتي

([22]) Dominique Bouhorus,The History of Peter D` Aubusson, London, 1679.

([23])L`Abbé de Vertot, Histoire des Chevaliers Hospitaliers de S. Jean de Jerusalem appelez depuis Les Chevaliers de Rhodes et aujourdhui Les Chevaliers de Malte, tome second, Paris, 1726.

([24])John Taaffe, The History of the Holy, Military, Sovereign Order of St. John of Jerusalem; or Knights Hospitallers, Knights Templars, Knights of Rhodes, Knights of Malta, in four volumes, London, 1852, vol. III., pp. 53-67.

Giacomo de Curti فيما كتبه لأخيه في البندقية عن الاستعدادات العسكرية والتموينية لمدينة رودس لمواجهة الحصار ([٢٥]) .

من خلال هذه المصادر والمراجع الأوروبية التي تم استعراضها ، وغيرها التي تأتي في الأهمية تالية لها ، أمكن رسم يوميات الحصار التركي لمدينة رودس سنة ١٤٨٠م من واقعها فجاءت على النحو التالي .

ثانيا ــ بيير دوبسو وجزيرة رودس عشية الحصار التركي لها:

١– سيرة بيير دوبسو حتى انضمامه للفرسان الإسبتارية في رودس:

يسجل لنا التاريخ أن بيير دوبسو كان مقدما أكبر لفرسان إسبتارية رودس زمن الحصار التركي لها سنة ١٤٨٠م ، وقائد حركة الدفاع عن الجزيرة ضد هذا الحصار . ولقد ولد بيير دوبسو سنة ١٤٢٣م للسيد برنارد دوبسو Bernard d` Aubusson ، والسيدة مارجريت دو كومبورن Margaret de Comborn وكان ينتميان إلى فيكونتية لا مارش Viscounts de la Marche ، وينحدران من بيتين من البيوتات اللامعة في مملكة فرنسا . ومن مولده النبيل ، حصل بيير دوبسو على بنيان قوي ومهارة في فنون القتال والمبارزة ([٢٦]).

ولشغف بيير دوبسو بالسلاح والقتال ، وبسبب الهدنة التي وُقعت بين فرنسا وانجلترا وماتبعها من سلام بين الدولتين ، اضطر لمغادرة فرنسا إلى ألمانيا عله يجد فيها مكانا مناسبا لتوظيف قدراته ([٢٧]) .

تصادف يومها أن الأخطار الداخلية والخارجية كانت تتهدد سيجيسموند Sigismund امبراطور ألمانيا . فعلى الصعيد الداخلي كان الهسيين The

---

([25])Eric Brockman, The Two Sieges of Rhodes 1480-1522, London, 1969.

([26]) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 138. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit, pp. 1-2; L`Abbé de Vertot, op. cit., p. 280; the Oxford and Cambridge review and University magazine for January – june 1846 , vol. ii, London, 1846, p. 484; Eric Brockman, op. cit., p. 59.

([27]) Dominique Bouhorus, op. cit., p. 2.

Hussites يحاربونه في بوهيميا Bohemia . وفي الخارج تقدم الأتـــراك في المجـــر Hungary ، وباتوا يهددون ألمانيا بالاجتياح . يومئذ كان سيجيسموند مشغولا في مجمع بازيل Council of Basle ، لا يستطيع قيادة حملة بنفسه لمواجهة الأتـــراك ، فأرسل من فوره زوج ابنته ألبرت دوق النمســـا Albert Duke Of Austria للتصدي لهم . وكان بيير دوبسو أحد المشاركين في هذا الجيش ، فمثل ذلك أول عمل له ضد الأتراك ([٢٨]).

تقدم الجيش الإمبراطوري سريعا إلى المجر وانتصر على الجيش التركـــي ، محـــدثا مذبحة بين أفراده كان لبيير دوبسو نصيبا كبيرا فيها ، كما عزي فضل النصر في المعركة له . فبعد تفوق الجيش الإمبراطوري في البداية طوقه مشاة الأتراك من كل مكان فتشـــتت أفراده . ولكن بيير دوبسو استطاع تجميعهم ثانية ، وتوجيه هجوم مضاد لصفوف الأتراك انتهى بهزيمة ضخمة لهم ([٢٩]) .

لهذا ، أُستقبل بيير دوبسو في البلاط الإمبراطوري كأحد صناع الانتصار الكـــبير للألمان على الأتراك في المجر ، لينشغل بعدها في دراســـة اللغـــات كاللاتينيـــة والعلـــوم كالخرائط والجغرافيا والحساب. غير أنه وجه عناية خاصة لدراسة فن الحرب والتاريخ . فضلا عن ذلك ، يسر اصطفاء الإمبراطور سيجيسموند له تواجده يوميا في البلاط الألماني الذي أصبح بمثابة مدرسة يتعلم فيها القيادة . وأهله كل ذلك لأن يكون مستقبلا رجـــل دولة وقائدا بارزا ([٣٠]) .

بيد أنه بعد وفاة الإمبراطور سيجيسموند خلفه ألبرت دوق النمسا ولم يكن محبـــا للفرنسيين ، مما اضطر بيير دوبسو للعودة إلى فرنسا . وتزامن ذلك مع انتهاك المعاهـــدة الموقعة بين فرنسا وانجلترا ، لتبدأ حربا جديدة بينهما انتهت بانتصار الإنجليز ، واضطراب فرنسا بأكملها ([٣١]).

([28])Dominique Bouhorus, op. cit., p. 3; The Oxford and Cambridge Review, p. 484.
([29]) Dominique Bouhorus, op. cit., p. 4; The Oxford and Cambridge Review, loc. cit.
([30]) Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 7-9; The Oxford and Cambridge Review, p. 484
([31]) The Oxford and Cambridge Review, pp. 484-5.

بمجرد عودة بيير دوبسو إلى فرنسا تلقفه قريبه جان دوبســو **Jean d` Aubusson** حاجب شارل السابع **Charles VII** ملــك فرنســا (١٤٢٢م ــ ١٤٦١م) . ولشخصيته التي جذبت عيون وقلوب الجميع ، ولنبالته كونه الابن الأصغر لنائب كونتية لامارش ، اتخذه الكونت تابعا له ، وباتت العلاقة بينهما وثيقة للغاية ([٣٢]) .

وعقب احتدام المعارك بين فرنسا وانجلترا وخسارة الجانبيين للكــثير وُقــع صلحا بينهما ، قرر بعده بيير دوبسو مغادرة فرنسا للانضمام لجماعة الفرسان الإسبتارية في جزيرة رودس ([٣٣]) .

٢- بيير دوبسو في رودوس :

كان استيلاء السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينية قد أشاع الفزع في الشرق ، مما دفع ملك قبرص وامبراطور طرابيزون **Trebizond** ، وحكــام جــزر **Scio** و **Meteline** لدفع الجزية له . وذلك في الوقت الذي لم يقم فيــه فرســان القديس يوحنا في رودس بفعل مماثل ، فأرسل السلطان محمد سفيرا إليهم يتهــددهم في حال لم يدفعوا له جزية سنوية مقدارها ألفي دوكة سنويا . ولما كانت الجزيــرة يومهــا أضعف من أن تدافع عن نفسها ضد الأتراك ، استنجدت بالقوى المســيحية الأخــرى ولاسيما فرنسا . ووقع الاختيارعلى بيير دوبسو ليكون قائداً لهذه النجدة الفرنســية . ولقد تلقاه الفرسان الاسبتارية بقبول حسن لما ظهر في شخصه من صفات مميزة ، وعرفانا منهم لعمه لويس دوبسو **Louis d`Aubusson** أحد أشهر فرســان اســبتارية رودس ([٣٤]) .

ويومها كان جان دو لاستيك **Jean de Lastic** المقــدم الأكــبر لجماعــة الفرسان الإسبتارية بجزيرة رودس (١٤٣٧- ١٤٥٤م) ، ولقد ضمه لمجموعة فرســان أوفيرني **Auvergne** . ومنذ الوهلة الأولى بات جون دو لوستيك يأخذ بــرأي بــيير

([32]) Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 10-11.
([33]) Ibid, Op. cit., pp.16, 20- 1.
([34]) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 137. Cf. also: Dominique Bouhorus, Op. cit., pp. 32-4; Eric Brockman, op. cit ., p. 59.

دوبسو لرجاحة عقله ، وكذلك كان يفعل خلفه جاك دو ميلي **Jacques de Milly** (١٤٥٤-١٤٦١م) ، فضلا عن المقدم رامون زاكوستا **Ramon Zacosta** (١٤٦١-١٤٦٧م) ([٣٥]) .

وعندما أختير جيوفاني باتيستا أورسيني **Giovanni Battista Orsini** (١٤٦٧-١٤٧٦م) مقدما للجماعة أبحر من روما لجزيرة رودس التي كانت باحتياج إليه . وحالما وصلها وجدها في حاجة شديدة للأسلحة ، وتحصيناتها مهدمة ، وأهلها في رعب من تجهيزات السلطان محمد لمهاجمتهم ([٣٦]) .

في ظل هذه الظروف ، أختير بيير دوبسو سنة ١٤٧٠م قائدا لفرسان الجماعة، وعُهد إليه بقيادة سفينتين انضمتا لأسطول أرسلته البندقية لفك حصار جزيرة ميجروبونت **Megropont** . وبمجرد مشاهدة الأسطول التركي لهذه النجدة بادر برفع حصاره للجزيرة ([٣٧]) ، ليمثل ذلك التفوق الثاني لبيير دوبسو ضد الأتراك.

عند تلك المرحلة أصبح بيير دوبسو أحد ستة عشر فارسا يديرون أمور الجماعة ، وواحدا من المسئولين عن ثروتها لينتخب لاحقا بايلي **Baily** . وبحكم منصبه الجديد عُهد إليه بإصلاح أسوار الجزيرة المهدمة ، فأعاد بناء القديم منها ، وجعل خنادقها أوسع وأعمق ([٣٨]) .

٣- اختيار بيير دوبسو مقدما أكبر للإسبتارية (يونيو ١٤٧٦م) :

بينما الأتراك يواصلون استعداداتهم لمهاجمة رودس ، والفرسان الإسبتارية يستعدون لمواجهتهم ، توفي المقدم الأكبر جيوفاني باتيستا أورسيني ، فسارع فرسان الجزيرة باجماع من مجلس الفرسان الستة عشر الذين يمثلون كل الألسن إلى اختيار بيير دوبسو مقدما أكبر لهم في السابع عشر من يونيو سنة ١٤٧٦م . وهو المنصب الذي امتنع بيير دوبسو عن قبوله في البداية ، ولكن فرسان الجماعة أُجبروه على قبوله . ولقد

([35]) Dominique Bouhorus, op. cit., p. 26; Eric Brockman, op. cit ., p.60.
([36]) Dominique Bouhorus, op. cit., p.53.
([37]) Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 54-5; Eric Brockman, op. cit ., p. 60.
([38]) Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 56-60.

أشاع خبر انتخابه الفرح في نفوس كل سكان الجزيرة لعلمهم بقدراته العسكرية ، وخبراته السابقة في الوقوف في وجه جيوش السلطان محمد ([٣٩]) .

٤ــ وصول أخبار بهجوم تركي وشيك على رودس ، والاستعدادات لمجابهته:

منذ اللحظة الأولى لتوليه حكم رودس ، كان بيير دوبسو يتوقع كل ربيع أخباراً بمغادرة الأسطول والجيش التركيين البسفور في طريقهما إلى رودس لإخضاعها . لذا نجده بعد أسبوعين من انتخابه وفي الثاني من يوليو سنة ١١٧٦م ، يتعهد أمام مجلس من فرسانه بإعادة تحصين رودس ([٤٠]) .

وفي الأول من يوليو من السنة التالية (١٤٧٧م) أرسل بيير دوبسو رسائلاً إلى أوروبا بتواتر معلومات عن تشييد محمد الفاتح لأسطول من مائتي سفينة عند مضيق الدردنيل ، استعدادا لمهاجمة الإسبتارية في رودس أو بعض الجزر التابعة لهم . وكرد فعل لهذه الأخبار بادر بيير دوبسو بالاستعداد لمواجهة حصار بري تركي وليس لمعركة بحرية.

فبمقارنة قدرات الفرسان الإسبتارية البحرية مع الأتراك ، لم يكن لدى فرسان الإسبتارية برودس في القرن الخامس عشر سوى أسطول صغير لحماية تجارتهم ، ونقل قواتهم ، دون محاولة تحدي الأسطول التركي بشكل مباشر . ولم يكن نهج فرسان الإسبتارية برودس لهذه السياسة مرجعه افتقارهم للروح الصليبية ، وإنما لمحدودية مصادرهم وقدراتهم في حرب الشواني . فضلا عن أن الإعداد لحرب صليبية ضد الأتراك كان التزاما بابويا وليس التزاما لفرسان الإسبتارية ([٤١]).

عوضا عن ذلك ، حسن الفرسان دفاعاتهم الأرضية ضد الهجمات البرمائية ، وحصنوا شريطا من الموانئ على ساحل الأناضول الغربي لتوفير الملجأ للسفن الأوروبية ،

([39]) Dominique Bouhorus, op. cit., pp.60-1; L`Abbé de Vertot, Op., Cit., tome second, pp. 280-1; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 346.

([40]) Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii . p. 346.

([41]) Theresa M. Vann, The Fifteenth – Century Maritime Operations of the Knights of Rhodes, in. The Military Orders, vol. 4, " On Land and by Sea" edited by Judi Upton Ward, Ashgate Publishing, U. K, 2008, p. 215.

وجمع الدخل من رسوم الجمارك ، ولمنع الأترك من استخدامها كقواعد لمهاجمة رودس ، ولمراقبة السفن التركية . كما رخصت الجماعة للقراصنة بخفر السواحل والاستيلاء على سفن المسلمين ، ومصادرة السلع المحظورة التي يهربها التجار المسيحيين . كما نشـــطت شواني الإسبتارية في جمع المعلومات عن تحركات محمد الفاتح أكثر من محاولة الدخول في معارك بحرية معه ، الأمر الذي أدى لغضب الأتراك كثيرا من هذه الأنشـــطة للفرســـان الاسبتارية ([٤٢]).

٥ــ دور بعض الأوروبيين المتحولين للإسلام في حصار رودس:

في تلك الأثناء ، يبدو أن السلطان محمد الفاتح عدل عن غـــزو رودس أو قـــرر التمهل قبل المضي في مهاجمتها . ولكن ثلاثة من المتمردين على فرسان القـــديس يوحنـــا والمتحولين إلى الإسلام دفعوه للمضي قدما في حملته التي عزم على القيام بها. وكان أولهم يونانيا من نيجروبونت **Negropont** يسمى ديمتريوس ســـوفيانو **Dymetryus Sopheano** تحول للإسلام وذهب ليعيش في اسطنبول . وهناك حصل علـــى ثقـــة السلطان محمد عندما أعطاه تقريرا عن أوضاع وقدرات رودس التي سبق له العيش فيها . وبلغ من ثقة السلطان فيه إرساله في سفارة عرضت الصلح على فرســـان رودس قبـــل الهجوم عليها كما سنرى لاحقا ([٤٣]).

أما المرتد الآخر من رودس ، فكان نبيلا يسمى أنطوني ميلاجولـــو **Antony Melagolo** ، انتهى إلى الفقر ، ورغب في الحصول على مكانة جديـــدة بمســـاعدة السلطان . ولم يجد ما يحقق مأربه سوى مغادرة رودس والتحول إلى الإسلام . وقبـــل ذهابه إلى بلاط السلطان محمد رصد كل مدفعية رودس وأسلحتها ومواضعها الحصـــينة وغير الحصينة ، ورسمها في لوحات وخرائط أخذها معه إلى القسطنطينية ســـنة ١٤٧٧م وقدمها للسلطان محمد ، مما مكن له الدخول في خدمته . وكان من بين مـــا حملـــه مـــن

([42])Theresa M. Vann, The Fifteenth – Century Maritime Operations, pp. 215-6.
([43])Guillaume Caoursin, op. cit .,pp. 137 - 8. Cf. also: Eric Brockman, op. cit., p. 62; Franz Balinger, Mehmed the Conqueror and His Time, Translated from the German by Ralph Manheim, Princeton University Press, U. S. A, 1992, p. 396.

معلومات أن أسوار مدينة رودس قديمة ومحطمة ، ولا يوجد سوى القليل من الرجال للدفاع عنها ، فضلا عن افتقادها للحاجات الضرورية . وفي حال مهاجمتها من الأتراك لن تحصل على مساعدة ملوك أوروبا في الوقت المناسب (٤٤).

أما ثالث المتحولين للإسلام فكان ألمانياً يعرف باسم جورج فرابانوس **George Frapanus** أو السيد جورج **meister Georg** عاش فترة في رودس ، وحوالي سنة ١٤٧٠م انتقل ومعه زوجته وأطفاله إلى اسطنبول حيث تحول للإسلام ودخل في خدمة السلطان محمد للعمل في صناعة المدافع له ، وحصل على مكافآت ضخمة نظير ذلك (٤٥) .

دأب هؤلاء الرجال على حث السلطان على الاستيلاء على جزيرة رودس ، والإيضاح له أن وضع قبضته عليها سيسهل له الاستيلاء على الشام ومصر ، وكذلك على روما لأن رودس ممرا لإيطاليا . وكان من بين ما نقلوه له من معلومات قلة أعداد جندها وكميات المؤن المتاحة بها ، وقِدم أسوار قلعتها وتهدمها . وأمدوه بخريطة للمدينة تظهر حي اليهود بكونه الأضعف بين أحيائها . وأنه حالما يتم الاستيلاء على برج القديس نيقولاس **St. Nicolas** سوف يكون من السهل جدا الاستيلاء على المدينة . أما السيد جورج فقد أمد السلطان بخريطة دقيقة لأبراج المدينة استخدمها الأتراك في رسم خطة الهجوم عليها ، والتي اعتمدت في الأساس على استخدام المدافع الضخمة (٤٦) .

أعطت هذه المعلومات الخادعة نوعا من الإحساس بالراحة لدي السلطان محمد الفاتح للإقدام على خطوة مهاجمة رودس . ولكنه رغم ذلك آثر الرجوع إلى مستشاريه قبل اتخاذ أي قرار بهذا الشأن . فأخبروه معلومات مخالفة لما ذكره المتحولون للإسلام مؤداها أن تحصينات المدينة أعيد تشييدها ، وأنها مزودة بالمؤن والفرسان ، وأن بيير

---

(44)Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 137-8. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 96-8; Eric Brockman, op. cit., p. 63; Franz Balinger, op. cit., p. 396.

(45)Guillaume Caoursin, op .cit., p. 139. Cf. also: Eric Brockman, op. cit., p. 63; Franz Balinger, op. cit., p. 396.

(46) Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 138- 9. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 99. Franz Balinger, op. cit., p. 397.

دوبسو مقدم الداوية في غاية الشجاعة وليس من السهل الاستيلاء على الجزيرة في وجوده . ونوهوا للسلطان محمد الفاتح أنه في حال قام بغزوها ، فسوف تهب أوروبا عن بكرة أبيها لنجدتها . وذكروه أن مقدم الإسبتارية عقد اتفاقية تحالف مع سلطان مصر . وخلصوا إلى أن أفضل شئ هو دخوله في مفاوضات مع مقدم الفرسان ليدفع له جزية سنوية ، وذلك بإرسال سفارة إليه تقترح عليه شروط معاهدة السلام هذه ([٤٧]) .

٦- سفارتان تركيتان لعرض الصلح على المقدم الأكبر :

وافق السلطان محمد مستشاريه الرأي ، وأرسل سفارة على رأسها ديمتريوس سوفيانو أحد المتحولين للإسلام إلى مقدم الإسبتارية في رودس برسالة مكتوبة باليونانية وموقعة بالتركية من جانب الأميرين جم وشلبي تم تدوينها في مدينة باتارا **Patara** الواقعة في الساحل الجنوبي الغربي بآسيا الصغرى بتاريخ التاسع من فبراير سنة ١٤٧٨م . وفيها خاطبا بيير دوبسو بلهجة ودية استهلاها بتبجيله بوصفه بالأمير الكريم والشهير ، الأب والسيد المبجل . في الوقت الذي وصف فيه الأميران التركيان نفسيهما بأبناء وأصدقاء بيير دوبسو . وفي الرسالة يشير الأميران إلى بذلهما كافة جهودهما لإقناع السلطان محمد بعدم مهاجمة ممتلكاته ، ونجاحهما في ذلك لدرجة اقتناعه باتخاذه حليفا له . ويضيفا أنهما ما أرسلا ديمتريوس إليه إلا لعرض استعدادهما للوساطة بينه وبين السلطان محمد ([٤٨]) .

لم يعلن بيير دوبسو بوضوح رفضه أو قبوله لاقتراح السلم المقدم إليه ، ولكنه أخبر ديمتريوس سوفيانو عدم استطاعة فرسان رودس عقد معاهدة مع السلطان محمد دون موافقة البابا ، وأنه سيكون من الأفضل لحين وصول رد البابا إيقاف الحرب بين الطرفين ، مع اطلاق حرية التجارة بين تجار جزيرة رودس والتجار الأتراك ، بيد أنه أغفل مع ذلك

([٤٧])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 137.

([٤٨]) يمكن الرجوع لترجمة إنجليزية لهذه الرسالة في :

Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 104-5; L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, pp. 288-9.

أي ذكر للجزية المقترحة . وفي نفس الوقت كتب المقدم رسالة شكر للأميرين على عرضهما ، نوه فيها إلى أنه سيعرض الأمر على البابا ([٤٩]) .

عاد ديمتريوس للأميرين بالرد ، ولكنهما أرسلاه مرة أخرى للمقدم ، وطلبا منه ألا يتحدث معه في أي شئ سوى أمر الجزية . وكان الرد هو ذاته ، عدم قدرته إبرام أي أمر دون الرجوع إلى بابوية روما ([٥٠]) .

عندما وجد السلطان محمد الفاتح أنه لم يستطع انتزاع اعتراف بالسيادة التركية على جزيرة رودوس ، أو الحصول من فرسان الجزيرة على جزية كرمز للتبعية له ، ألقى بعرضه الأخير على الفرسان مقابل السلام معهم ، ألا وهو ضرورة قيامهم بإرسال سفارة من لدنهم للمثول ببلاطه لتقدم له هدايا ملكية بديلا عن الجزية ورمزا لتبعية الجزيرة له ، ولكن هذا العرض قوبل بدوره بالرفض من قبل بيير دوبسو ([٥١]) .

٧ــ استعدادات المقدم الأكبر لمحاربة الأتراك بعد رفضه لعروض الصلح معهم:

بعد رفض هذه العروض ، أدرك بيير دوبوسو أن هجوما تركيا على جزيرته بات محتوما ، وأن الأتراك أصبحوا عازمين أكثر من ذي قبل على غزو رودس . وأكد له هذا العزم من قبل الأتراك قيامهم بالاستيلاء على بعض سفن الجماعة . فأمر بعدم إبقاء أي سفينة في ميناء المدينة ، واستنجد بكل الجماعات الدينية لتأتي للدفاع عن المدينة وإنقاذها من هجوم أصبح وشيكا . كما بعث بالفارس دالبالات أوف أراجون **d`Albalat of Aragon** إلى نابولي لابتياع قمحا ، وأرسل أيضا إلى مصر والشام لشراء كميات وفيرة من كل أنواع المؤن ([٥٢]) .

([49])Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 108-9; L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, pp. 290-1.
([50])Dominique Bouhorus, op. cit., p. 109; Eric Brockman, op. cit., p. 62.
([51])Guillaume Caoursin, op. cit ., p. 137.
([52])Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 110-11.

وانتظارا وترقبا لهذا الهجوم ، وطوال ثلاثة اعوام طور بيير دوبسو دفاعات ميناء رودس ، وجدد الأسوار القديمة للمدينة واستخدم سفن الجماعة في نقل القوى البشـــرية والإمدادات والذخائر اللازمة للجزيرة في أوقات الضرورة . كذلك اســـتخدم ســـفن الجماعة في رصد وجمع كل المعلومات المتاحة عن هذا الهجوم . ومن المحتمل حصوله على معلومات عن خطة محمد الفاتح بشأن الهجوم من تركي أصدر له أمان مـــرور لزيـــارة رودس في مايو سنة ١٤٧٧م (٥٣) .

كذلك أنشأ بيير دوبسو عدة أبراج على مسافات متباعدة حول الجزيـــرة لمنـــع الأتراك من الهبوط إلى شاطئها . وأخذ على عاتقه بصفة خاصة إنشاء سور جديد لـــدار بناء السفن . وتزويد ميناء رودس بسلسلة لإغلاقه (٥٤) .

أخذ بيير دوبسو في تموين رودس فيما بين شهري يونيو وأغسطس سنة ١٤٧٧م عن طريق البحر ، وأصدر للتجار الرخص اللازمة لنقل الحبوب والمؤن والـــذخائر . وفي السادس عشر من أكتوبر من نفس العام أمر قســـطلان **Castellan** (قائـــد) قلعـــة القديس بطرس **St. Peter** بالسماح لسفن الحبوب المتجهة إلى رودس بالرسو في مينائه . وفي التاسع من أغسطس سنة ١٤٧٧م ، والعاشر من يونيو سنة ١٤٧٨م رخص بيير دوبسو للقراصنة بأسر أي سفينة تركية توجد في المياه المحيطة برودس (٥٥) .

وفي العام التالي ١٤٧٨م حصل بيير دوبسو على إذن البابا سكســـتوس الرابـــع **Sixtus IV** (١٤٧١– ١٤٨٤م) بتجارة الأخشاب مع مصر والشام لمدة عـــام . وعندما أصدر بيير دوبسو الرخص للتجار للمتاجرة مع المصريين والشوام أمرهم بعـــدم التحدث في أحوال رودس ، وتزويده حال عودتهم بأي معلومات يســـمعونها قـــد تهـــم الجزيرة(٥٦) .

---

(53)Guillaume Caoursin, op .cit. p. 138. Cf. also: Theresa M. Vann, The Fifteenth – Century Maritime Operations, p. 217.

(54) Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 66-7; L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, p. 281.

(55)Theresa M. Vann, The Fifteenth – Century Maritime Operations, p. 217.

(56)Ibid, op. cit., p. 218.

وفي إطار الاستعدادات البشرية ، ولما كان بيير دوبسو قد اعتقد في يوليو سنة ١٤٧٧م أن لديه معلومات كافية لتعبئة رؤساء جماعة الإسبتارية في الغرب أرسل يستدعيهم لاجتماع عام في رودس ، وحذرهم من هجوم تركي وشيك على رودس وطالبهم بالاستعداد لمجابهته . وفي غضون ذلك توافد على الجزيرة فرسانا من كافة أنحاء أوروبا . وفي التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٤٧٨م عقد المقدم الأكبر اجتماعا للفرسان شرح فيه الخطر الداهم الذي بات يتهدد الجماعة . وقرر فيه المقدم ومجلس الفرسان الستة عشر التصدي للأتراك حتى النهاية ، وفرض ضرائب جديدة لدعم التجهيزات العسكرية ، على أن يكون المقدم مسئولا عن إدارة دخل الجماعة . مع منحه كل الحق في استخدام الأموال التي ستأتي لخزانة الجماعة . كذلك طالب المجلس بوضع كل المؤن و الذخائر الحربية تحت إمرته ليوزعها كيفما يتراءى له . وكان هدف هذه الصلاحيات الإدارية والمالية والحربية منح المقدم الحرية لمواجهة الأزمة القادمة . وتحمل الوثيقة الخاصة بهذا الاجتماع أسماء ستين فارسا على رأسهم المقدم الأكبر ، ووليم كاورسا نائب مستشار الجماعة ومؤرخ حادثة حصار رودوس ([٥٧]) .

وطلبوا منه كذلك اختيار قسطلان رودس ، وقضاتها ، وبايل التجارة ، وقادة أبراج المدينة الثلاثة الكبرى ، وبواباتها دون مراعاة لجنسياتهم أو أقدميتهم في الفروسية([٥٨]) .

٨ــ سفارة تركية ثالثة للمقدم الأكبر وعقد هدنة بين الطرفين ١٤٧٩م:

في تلك الأثناء ولكي يبدد السلطان محمد أية أخبار قد تكون وصلت بيير دوبسو عن استعدادات لمهاجمة الجزيرة ، أرسل إليه سفارة جديدة رأسها تركي أكد للفرسان رغبة السلطان الصادقة في عقد سلام معهم . ولقد أجابه المقدم برد مماثل لرده على

([57])Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 111-2 ; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 348.

([58])Dominique Bouhorus, op. cit., p. 113.

السفارتين السابقتين . غيرأنه أوفد فارسا من جماعته مع هذه السفارة إلى السلطان محمد ، ليعلنه استعداد الجماعة لعقد هذا السلام معه دون دفع أية جزية ([٥٩]) .

وعلى الرغم من ردود المقدم الأكبر على عروض السلطان محمد بالصلح ، إلا أنه وأثناء اجتماع عادي للجماعة في الرابع عشر من أبريل سنة ١٤٧٩م، صدرت تحذيرات مما يحدث في إسطنبول ضد رودس . مما دفع بيير دوبسو في نهاية صيف ١٤٧٩م لقبول هدنة مع الأتراك بوساطة من جم الإبن الثاني للسلطان محمد . وكان لكل جانب من الجانبين دوافعه من قبول الصلح ؛ فقد كان الأتراك في احتياج لمزيد من الوقت لإعداد أسطولهم ، في حين كان بيير دوبسو في حاجة بدوره للوقت حتى يرسل إليه الملوك والحكام الأوروبيون المدد اللازم من الفرسان ([٦٠]) .

٩ــ استمرار تجهيزات بيير دوبسو لقتال الأتراك:

ويذكر وليم كاورسا أنه وبفضل من الله تم تحصين رودوس بسرعة ، وتزويدها بالإحتياجات الضرورية والسفن والمحاربين ([٦١]) .

بهذا الشكل استمر بيير دوبسو طوال ثلاث سنوات في إصلاح أسوار المدينة والإضافة إليها ولتحصيناتها . ولا يزال يوجد لليوم حوالي مائة وخمسين شعار نبالة لمقدمي الجماعة منقوشة على استحكامات المدينة ، يحمل ثلثها شعار نبالة بيير دوبسو ، مما يظهر جهده في إعادة تحصين المدينة . وعلى الرغم من هذا لا يجب إغفال أن تواريخ العديد منها لاحقة للحصار التركي للجزيرة سنة ١٤٨٠م ، وللزلزال الذي ضربها سنة ١٤٨١م . ووفي نفس الوقت فمن المؤكد أن بعضها يرجع للسنوات الثلاث الأولى لقيادة بيير دوبسو للجماعة السابقة على الحصار التركي لرودس ([٦٢]) .

([59])Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 116-8; Charles Le Beau, Histoire du Bas – Empire, Paris, 1836, p. 431.

([60])Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii . p. 347.

([61])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 138.

([62])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 138. Cf. also: L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, p. 281; Setton, Kenneth M.,, op. cit., vol. ii. p. 346.

وللإنفاق على إصلاح الأسوار والاستحكامات القديمة للمدينة استخدم بيير دوبسو الأموال التي جُمعت في عهد المقدم السابق جيوفاني باتيستا أورسيني . في حين تم بناء الأسوار الجديدة والأجزاء المحصنة حول برج رودس من الأموال التي أُرسلت من فرنسا لهذا الغرض ([٦٣]) . فعندما علم لويس الحادي عشر **Louis xi** ملك فرنسا (١٤٦١ – ١٤٨٣م) بتلك الأخبار عن طريق الفارس دامبروز **D`Ambrose** الذي أوفده المقدم بيير دوبسو إلى فرنسا لجمع الأموال للجماعة ، منح من فوره مساعدات للجماعة في رودس لاستكمال تحصيناتهم . كذلك طلب بيير دوبسو من البابا سكستوس الرابع الغفران لكل من يقوم بمساعدة أهل رودس . ولقد حصل بالفعل على ما طلب من البابا ، مما شجع الكثير على التبرع للجزيرة . ومن المؤكد أن تلك الأموال ساعدت فرسان الاسبتارية في الدفاع عن مدينة رودس ([٦٤]) .

استكمل بيير دوبسو تجهيزاته العسكرية باستعدادات دبلوماسية بعقد معاهدة مع سلطان مصر الأشرف قايتباي (١٤٦٨ – ١٤٩٦م) الذي كان يخشى سلطان التـرك ووضع قبضتهم على رودس ، مما دفعه لإرسال دويداره لتجديد الصلح مع فرسان الجزيرة . واشترطت المعاهدة توقف فرسان رودس عن مهاجة أتباع وممتلكات السلطان المملوكي برا أو بحرا . في الوقت الذي تعهد فيه السلطان المملوكي بعدم توجيه أي ضربة للفرسان الإسبتارية ، ومساعدتهم والدفاع عنهم في حالة تعرضهم لأي هجوم ، مع عدم فرض أي ضريبة على سفن الجماعة التي تتوجه للأراضي المقدسة ، واعتبارها سفنا صديقة تحت الحماية السلطانية . وإطلاق الحرية لأي عبد مسيحي يعتق من قبل سيده في القاهرة في العودة إلى وطنه ، وتبادل العتقاء والأسرى بين الجانبين([٦٥]) .

([63])Guillaume Caoursin, op. cit., loc. cit. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 90.

([64])Dominique Bouhorus, op. cit., p. 91; L`Abbé de Vertot, op., cit., tome second, p. 288; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 346.

([65])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 138. Cf. Also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 92-3; L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, pp. 292-4;
Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 347.

وجدير بالذكر أن بيير باراتر أشار لهذه السفارة بقوله إنهم أثنـــاء وجـــودهم في فلسطين للحج في صيف سنة ١٤٨٠م ، قيل لهم أن السلطان المملوكي أخبر سيد رودس أنه إذا طلب مساعدته لمقاومة الأتراك فسوف يمده بستة عشر ألفا أو عشرين ألف مملوك. ويزيد أنه تأكد من صدق هذه المعلومة على لسان سادة رودس الذين ذكروا له أن سفارة سلطان مصر كانت لا تزال بالجزيرة في اللحظة التي وصل إليها الأسطول التركي لبـــدء حصاره لمدينة رودس (٦٦) .

ولم يكتف بيير دوبسو بذلك ، فقد أرسل أيضا الفارس لامانت **Lamant** إلى أبي عمرو عثمان حاكم تونس (١٤٣٦ – ١٤٨٨م) ، وتمخضت الزيارة عن عقد اتفاق سلام بين الطرفين أُتفق فيه على هدنة بين التوانسة والجماعة أمدها إحدى وثلاثين عاما . وتميز الاتفاق بمادة تعطي الحق للفرسان في حالة ما أرادوا شراء ثلاثين ألف مكيال مـــن القمح دون موانع أو ضرائب ، حتى ولو كانت هناك ندرة في القمح في تونس (٦٧) .

١٠ــ استكمال السلطان محمد لتجهيزاته بغرض مهاجمة رودس:

في الوقت الذي كانت فيه جماعة اسبتارية رودس تستكمل تجهيزاتها واســـتعدادتها لمناوئة الهجوم التركي المتوقع على جزيرتهم ، واصل الجانب التركي ترتيباته لغزو رودس . فقد عقد السلطان محمد مجلسا استشاريا جمع فيه المتخصصين في فن الحـــرب وصـــناعة الأسلحة . ودارت النقاشات والآراء المتبادلة في المجلس حول صعوبة الاســـتيلاء علـــى رودس ، وأن الأمر لن يكون بالسهولة التي يصورها المتحولون للإسلام والمؤيدون لهم ، لأن ما أحضروه معهم من خرائط ولوحات ومعلومات تغير كلية بعد مرور سنوات مـــن تقديمها للسلطان ، إذ أصبحت المدينة منيعة للغاية ، ومحمية بفرسان يفضلون لقاء حتفهم على أن يروها بين أيدي الأتراك (٦٨) .

---

(66)Pierre Barbatre, op. cit, p. 162.

(67)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 138. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 94; L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, p. 294; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. pp. 347 - 8.

(68)Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 138-9. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 122; Charles Le Beau, op. cit., p. 432.

وخلص رأي المجلس بضرورة مهاجمة رودس بحرا وبرا . فاستدعى السلطان أعدادا كبيرة من المشاة من آسيا الصغرى ومنطقة إسكوتاري **Scutari** في هضبة الأناضول ، ومن البسفور وأسطنبول . وأمضت هذه القوات فصل الشتاء في خليج مرمرة . كما أمر بتجهيز سفن لحمل المدافع الضخمة غير التقليدية ، وبوضع ما بين مائة وخمسين ومائة وستين سفينة خفيفة مزودة بالمدفعية العادية في مقدمة الأسطول . وأصدر السلطان أوامره للمتخصصين في صناعة المدفعية والأسلحة والبارود ولاسيما الألماني جورج بصنع ما يلزم منها لحصار ومهاجمة رودس . ولمنع وصول أخبار تلك الاستعدادات في اسطنبول لمقدم الإسبتارية ، طالب السلطان محمد حراسه بالانتشار في كافة الطرقات ، وحكامه بفتح جميع الخطابات ، ووقف كل البريد (٦٩) .

خطط السلطان محمد لحصار رودس بالاعتماد على خريطة السيد جورج ، وعين قائدا لجيشه مسيح باشا باليولوجس **Misach Basha Paleologus** ، وكان أثيرا لديه وأبرز باشوات دولته. ونشأ مسيح باشا أميرا مسيحيا من أسرة باليولوجس البيزنطية الإمبراطورية ، ولكنه تحول للإسلام بعد فتح القسطنطينية . وعندما حصل على حظوة السلطان محمد رافقه في كل حملاته ، مما أكسبه خبرة عسكرية جعلته الرجل الثاني عسكريا بعد السلطان محمد ، وهيأت له هذا الوصول لأعلى مراتب القيادة الحربية في البلاط العثماني (٧٠) .

انتظر مسيح باشا حتى أصبح الأسطول جاهزا ، وصعد احدى سفنه في صحبة المتحولين للإسلام ديمتريوس وجورج وأنطوني ميلاجولو الذين أمل منهم السلطان أعمالاً عظيمة . وعلى الرغم مما اتُخذ من احتياطات لمنع وصول أخبار هذه التجهيزات عن بيير دوبسو ، إلا أنه علم بها عن طريق جواسيسه في بلاط السلطان (٧١) .

---

(69)Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 139-40. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 124; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 348.

(70)Guillaume Caoursin, op. cit., 140. Cf. also Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 123-4; Eric Brockman, op. cit., p. 63; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii . p. 348; E. J. King, op. cit., p. 64.

(71)Dominique Bouhorus, op. cit., p. 125; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 349.

١١ــ تدمير الأمطار لجزء من تحصينات رودس:

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أنه بعد كل استعدادات بيير دوبسو لملاقاة الأتراك ، هبت عاصفة شديدة تحولت أمطارها لفيضانات هدمت السور القديم للمدينة وجزء من السور الجديد ، مما أشاع اليأس في المدينة . غير أن بيير دوبسو تمكن من إعادة بناء الأسوار ، كما أمضى شهرا في زيارة الأماكن التي كانت بحاجة إلى تدعيم بالجزيرة . وعقب عودته من تفقد التدعيمات ، وجد جاسوسا تركيا يخبره بالاستعدادات الضخمة للجيش التركي ، وانتظار الأسطول التركي لأول ريح مناسبة للإبحار في اتجاه جزيرة رودس (٧٢) .

١٢ــ وصول أخبار بهجوم تركي وشيك على رودس واستعدادات المقدم لمجابهته:

جاءت الأخبار بعدئذ بإبحار الأسطول التركي في مائتي شانية في اتجاه مدينة رودس. الأمر الذي دفع بيير دوبسو لإصدار أوامره بتحصن كل أهل المدينة بالأبراج والأسوار. كما تفقد كل شواطئ الجزيرة لتحديد الأماكن التي يمكن عمل كمائن بها للأتراك . وعمل قائمة بكل الغرباء والمشردين الموجودين بالجزيرة ووضعهم تحت إمرة الفارس فريكويرولي **Friqueroly** . وأمر ببقاء كل السفن الموجود بالميناء في أماكنها مع تزويدها بكل احتياجاتها المعيشية (٧٣) .

وبورود تلك الأخبار أدرك بيير دوبسو أن اللحظة المرتقبة جاء أوانها ، وانتهى رأيه بعد أخذه بمشورة القائد العام للجزيرة إلى اختيار أربعة قادة مساعدين للدفاع عن مدينة رودس، وعين لكل منهم موقعه ووظيفته (٧٤) .

وطلبا للمساعدات الأوروبية أرسل بيير دوبسو الفارس كاردون **Cardon** بايلي مايوركا **Majorca** إلى أراجون **Arragon** وقطالونيا **Catalonia** لجمع

---

(72)Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 82, 84.
(73)Ibid, op. cit., p. 86.
(74)Ibid, op. cit., pp. 85-6.

عشور جديدة لشراء أسلحة وذخائر ، وإرسالها بأقصى سرعة للجزيرة . كما بعث بخطابات لرؤساء الإسبتارية في أوروبا يخبرهم فيها بضرورة قدومهم للتصدي لهذا الخطر الذي لا يتهدد من وجهة نظره جزيرة رودس وحدها وإنما يتهددهم والمسيحية كذلك . فضلا عن إرساله خطابات لملوك وأمراء أوروبا يطالبهم فيها مساعدة الجماعة بالعدة والعتاد لمواجهة الهجوم التركي المنتظر (٧٥) . وجاءت الاستجابة الفورية لدعوة المقدم الأكبر من الإيطالي بندتو ديلا سكالا **Benedetto della Scalla** الذي توجه للجزيرة على رأس مجموعة من الرجال المسلحين على نفقته الخاصة (٧٦) .

كذلك وصل لجزيرة رودس برتران دو كلوي **Bertrand de Cluys** مقدم الدير الأكبر في فرنسا ، وشارل دو مونتولون **Charles de Montholon** وغيره من فرسان الألسن الثلاثة لفرنسا . ولحقهم الأخ جان دو **Jean Daw** البايلي الأعظم لألمانيا الذي قدم لرودس على رأس عدد كبير من القادة والفرسان والجند (٧٧) .

وقبل الحصار التركي لجزيرة رودس ببضعة أيام قدم من فرنسا لرودس سيد منطقة مونتليون **Montelyon** أنطوني دوبسو **Antony d` Aubusson** شقيق المقدم الأكبر برفقة نظراء له بدافع حماية المسيحية. وكان أنطوني دوبسو الذي يتميز بحكمة وشراسة في القتال معروفا لفرسان القديس يوحنا في رودس ، فاختاره مجلسهم الإستشاري وشقيقه المقدم الأكبر للفرسان قائدا لجميع الفرسان والمدافعين عن الجزيرة(٧٨) .

ولعل من أبرز ما ورد عند المؤرخ الفرنسي رئيس الدير الأب رينيه أوبير دو فيرتو **L` abbé René Aubert de Vertot** من واقع سجلات الجماعة في مؤلفه عن فرسان الإسبتارية ، حصره لأسماء ووظائف قرابة مائة وتسعين ممن شاركوا في الدفاع

---

(75)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 138. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 88-9; L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, pp. 286-8; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii . p. 346.

(76)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 138. Cf. also: Marcello Maria Marrocco Trischitta, the Knights of Malta, a Legend twards the Future, Rome, N. D, p. 14.

(77)L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, p. 297.

(78)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 150.

عن رودس . ويظهر من خلال ذلك الحصر تنوع مناصبهم ووظائفهم وأعمالهم بين رؤساء أديرة وأمراء بحر ومستشارين وبايلي وقادة عسكريين وقادة قلاع وفرسان ومن يخدمون بالسلاح وحجاب وقساوسة ومصمم أزياء . وكذا تنوع أوطانهم وجنسياتهم ، فقد كانت غالبيتهم من الفرنسيين تلاهم الإيطاليين فضلا عن مجموعات من الإنجليز والأيرلنـــديين والألمان والقطالان والأراجونيين والقشتاليين والبرتغاليين (٧٩) .

١٣ــ هجمة تركية استطلاعية على جزيرة رودس في ديسمبر ١٤٧٩م:

في الرابع من ديسمبر سنة ١٤٧٩م ظهرت طلائع سفن الأسطول التركي لتلقي بمراسيها أمام قلعة فانو **Fano** على الساحل الشمالي لجزيرة رودس . وفي الحال أنـــزل القائد التركي مشاته وأمرهم بالتقدم في الريف وحرق قراه . بيد أن الفارس رودولفـــس أوف ويرتيمبيرج **Rodolphus of Wertemberg** الذي عهد إليـــه المقـــدم بالتصدي لهذا الهجوم تمكن ومن معه من قتل عدد كبير من الأتراك ، وأجبر بقيتهم على التراجع بسفنهم إلى بحر مرمرة (٨٠) .

وفي غضون ذلك كانت بقية سفن الأسطول التركي تبحر في مياه منطقة عمودي جاليبولي ، والقوات البرية تتقدم في أراضي آسيا الصغري لتلتقي بها ، ولكن جاءت أخبار كاذبة بموت السلطان محمد الفاتح تراجع بعدها هذا القسم الأكبر من أسطول وجـــيش الأتراك بدوره إلى بحر مرمرة (٨١) .

١٤ــ تجهيزات المقدم الأخيرة لمواجهة الهجوم التركي:

أكدت هذه الحملة التركية الأولية للمقدم أن الهجوم التركي الكبير قادم لا محالة . ولذلك رأى أن كنيستي القديس أنطونيوس **Saint Antony** ، والقديســـة مـــاري **Saint Mary** الواقعتين خارج أسوار المدينة بقربها ، سوف تخدمان الأتراك بتقـــديم

---

(79)L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, pp. 617-21.
(80)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 140. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 125-7 ; Eric Brockman, Op. cit., p. 64; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. II, p. 349.
(81)Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 139-40. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 128 ; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. II . p. 349.

المأوى والساتر لهم عند وصولهم ، ولذا أمر بهدمهما . كذلك ألزم كل أصحاب الحدائق والمنازل الواقعة خارج المدينة بقطع أشجارها غير المثمرة ، وحرق أخشابها أو نقلها لداخل المدينة . وطالبهم أيضا بقلع كل الشعير والشوفان الذي قارب الحصاد لكي لا يستخدمه الأتراك عليقة لخيولهم ، وإفساد كل القمح والكروم والمزروعات الخضراء حتى لا يستخدمها الأتراك طعاما لهم ، وبنقل ماشيتهم لداخل المدينة . ولرفع الروح المعنوية ، دعا المقدم الأكبر أهل رودس والفرسان لصلاة عامة طلبا للنجاة (٨٢) .

وتحسبا لتسلل أي سفينة معادية لميناء رودس ، كانت سفينة القائد البحري النبيل لودوفيكو بيكسو **Ludovico Peyxo** وهي من نوع الناو **nave** آخر سفينة أوروبية تحصل في الثاني عشر من فبراير سنة ١٤٨٠م على تصريح بدخول الميناء قبل الحصار التركي له . أما آخر سفينة غير أوروبية حطت بالميناء فكانت في العاشر من مارس سنة ١٤٨٠م . وكذلك ، وحرصا على عدم تسرب معلومات عن الاستعدادات العسكرية للجزيرة ، شهد الثاني والعشرين من مارس سنة ١٤٨٠م آخر إذن يصدر لتاجر أوروبي بدخول رودس قبل حصارها وكان لأحد تجارها . ويذهب كينيث إم سيتون إلى أن حظر دخول السفن للميناء استمر حتى الثاني عشر من أكتوبر ، وهو تاريخ حصول أول سفينة أوروبية على أمان بدخول رودس بعد انتهاء الحصار (٨٣) . ولكن تجب الإشارة إلى أنه قد جانبه الصواب بهذا الشأن لأن أول سفينة سُمح لها بدخول الميناء ــ كما سنرى ــ كانت سفينة الحجاج المسماة كونتارينا **Contarina** وذلك في العاشر من سبتمبر سنة ١٤٨٠م تقريبا .

ولتنظيم الدفاع عن المدينة قسمها بيير دوبسو إلى ثمانية قطاعات وزع أمر الدفاع عنها على فرسان الأمم أو الألسن الثمانية التي شكلت قوام الفرسان الإسبتارية في الجزيرة . وهي إيطاليا ، وألمانيا ، وفرنسا ، وأوفيرني ، وبروفانس ، وأراجون ، وقشتالة ،

---

(82)Guillaume Caoursin, op. cit. p. 140. Cf. also: Thomas Milner, The Ottomans Empire: The Sultans, The Territory and The People, London, 1799, p. 51; Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 129-30 ; Eric Brockman, op. cit., p. 65; L`Abbé de Vertot, op., cit., tome second, pp. 296-7; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. II, p. 349.
(83)Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. note (4), p. 347.

وإنجلترا ، بعد أن حدد لكل منها قطاعاً في أسوار وتحصينات المدينة لحمايته . كما اختار أربعة قادة عموميين هم قائد فرسان الجماعة ، وأمير البحر ، ومسئول خزانة الجماعة ، ومستشار الجماعة ، وعهد لكل منهم قيادة القوات المسئولة عن الدفاع عن كل جانب من جوانب المدينة الأربعة ، وخص المقدم نفسه بالقيادة العليا عليهم جميعا ([٨٤]).

ولعل ما يلخص الموقف يومها ما كتبه الراهب الأوغسطيني الأب جياكومو دو كورتي **Giacomo de Curti** لأخيه في البندقية بأن مدينة رودس كانت مزودة يومها بشكل حسن بالقمح والخمر والزيت والجبن واللحم المملح والمواد الغذائية الأخرى ، وأقواس السهام والمدافع الخفيفة والثقيلة ، والآنية الفخارية لإعداد الزيت المغلي ، والنيران الإغريقية وآنية مليئة بالقار مربوطة معا ، ومراقبة مستمرة بالليل والنهار من مجموعات مختارة من رماة السهام وحملة المدافع اليدوية ومائة فارس ([٨٥]) .

ثالثا: وصول الأتراك لرودس والمرحلة الأولى لحصارها (٢٣مايو– ١٠ يونيو ١٤٨٠م):

مع انقضاء فصل الشتاء الذي أمضته القوات التركية في الأناضول بدأ تحركها صوب جزيرة رودس ، وكتب الراهب دو كيرتي أن البحر غُطي بأشرعة كانت أبعد من أن تستطع العين رؤيتها ([٨٦]) . وعندما جاء يوم الثالث والعشرين من مايو سنة ١٤٨٠م، لاح في الأفق واقترب من الجزيرة الأسطول التركي بقيادة مسيح باشا في ما بين مائة ومائة وستين سفينة من أنواع الشواني ، و **gapernes**، و

([84])L`Abbé de Vertot, op. cit., tome second, pp. 295 - 6; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 349.
([85])Eric Brockman, op. cit., p. 65.
([86]) Ibid., op. cit., p. 67.

لوحة تصور رحيل الأسطول التركي في طريقه إلى رودس (نشرت ١٤٩٦م)

navire ، و **fussent palendres** على تباين الروايات ، تحمل ما يتراوح بين سبعين إلى مائة وثلاثين ألف جندي على اختلاف المصادر (٨٧) ، فضلا عن المدفعية وكل الأدوات اللازمة لحصار رودس . وكان الفضاء يردد صدى الطبول التركية التي كانت تدق بشكل مخيف لم تعهده الجزيرة والفرسان الإسبتارية من قبل ، وذلك ارهاصا ببداية حصار لمدينة رودس استمر لثمان وثمانين يوما ، وعده البعض من أكبر الحصارات في التاريخ (٨٨) .

١ ــ أثر وصول الأتراك إلى رودس على أوروبا:

وحقيقة القول ، واعتمادا على ما أورده الألماني فيلكس فابري ، نشر ذلك الحصار الرعب في أوروبا كما أشاعه في رودس . فقد رصد لنا كشاهد عيان وصول سفينة للبندقية حاملة لأخبار الحصار التركي البحري والبري لمدينة رودس ، وأثر ذلك على رحلة الحج السنوية للأراضي المقدسة في فلسطين التي كانت البندقية تنظمها للأوروبيين بشكل منتظم خلال فصل الربيع . وكيف أدت تلك الأخبار لإضطراب

---

(٨٧) تذهب احدي الدراسات الحديثة عن الفرسان الإسبتارية إلى أن الجيش التركي كان يتكون من عشرة أو خمسة عشر ألف جندي ، وأن هذا العدد كان يمثل قسما صغيرا من عموم الجيش التركي لانشغاله يومها بعمليات عسكرية أخرى في جبهات متعددة كإقليم أوترانتو **Otranto** في إيطاليا ، وفي بلجراد **Belgrade** ، وفي الدانوب الأدنى **Lawer Danube** ، وعلى الحدود الفارسية . أنظر :

Helen J. Nicholson, The Knights Hospitaller, U. k, 2001, p. 61.

وهو ما لا يتفق ــ كما سنرى لاحقا ــ مع ما ذهبت إليه المصادر المعاصرة من تقدير أعداد الجيش التركي، وأعداد قتلاه وجرحاه في نهاية الحصار .

(٨٨) يذكر جان مولينيه أن الأسطول التركي وصلها في الثالث من مايو في مائة سفينة ، أما الرحالة الفرنسي بيير باراباتر فيورد أن الأتراك وصلوها إلى رودس في الرابع والعشرين من مايو . أنظر:

Jean Molinet, op. cit., p. 249; Pierre Barbatre, op. cit., pp. 159, 162; Guillaume Caoursin, op .cit., p. 141. Cf. also: Thomas Milner, op. cit., p. 75; Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 130-1; Charles Le Beau, op. cit ., p. 432; A. G. B. Schayes, Notice sur la Relation Inédite du Voyage à Jerusalem Entrepris en 1505, par Pierre de Smet dit van Steebroeck, Bourgeois de Bruxelles, dans. Revue de Bruxelles, Juillet 1839, p. 111; Marcello Maria Marrocco Trischitta, op. cit., p. 14; Franz Balinger, op. cit., p. 396 ; E. J. King, The Grand Priory of the Order of the Hospital of St. John of Jerusalem in England, Forward by Major General Earl of Scarbrough, reprinted, U. S. A., 2004, p.64.

الكثير من الحجاج خشية إلغاء رحلة حجهم في وقت كانوا يستعدون فيه لصعود سفينتهم لبدئها بعد استكمال كل تجهيزاتهم . ودفع ذلك فيلكس فابري ورفقته من الحجاج الألمان للتوجه بالتماس لرئيس مجلس سناتو البندقية للسماح لسفينة الحجاج بالبدء في رحلتها إلى الأراضي المقدسة . ولقد أوضح لهم رئيس المجلس أنه لا توجد خشية على سفينة البندقية من جانب الأتراك بفضل المعاهدة الموقعة بين البندقية والأتراك ، وإنما الخشية على الحجاج أنفسهم من وقوعهم أسرى في أيدي الأتراك . ولذا اقترح عليهم ولسلامتهم الشخصية عدم القيام برحلة الحج هذا العام . بيد أنه وفي الوقت ذاته أخبرهم أنه في حالة اصرارهم على القيام بالرحلة ، فسوف تسمح سلطات البندقية للسفينة بالرحيل على مسئوليتهم الشخصية ، شريطة توجه السفينة لجزيرة كورفو لأخذ رأي قائد الأسطول البندقي بشأن استكمال الرحلة لمعرفته التامة بتحركات الأتراك ، مع تزويدهم بخطاب له يحتوي تفاصيل الموقف كاملة ، وهو ما حدث بالفعل .

فمبجرد وصول سفينة الحجاج إلى جزيرة كورفو قدموا خطاب رئيس مجلس سناتو البندقية لقائد أسطول البندقية ، فأفادهم بانتشار سفن الأسطول التركي في كل مكان ، ووجود خطورة على أرواحهم وممتلكاتهم في حال استكمال الرحلة ، مقترحا عليهم إما العودة للبندقية ومنها لأوطانهم دون القيام برحلة الحج ، أو الانتظار في أحد الموانئ حتى وصول أخبار طيبة تتيح لهم مواصلة الرحلة ، على أن يرتبوا لأنفسهم سفينة تنقلهم إلى فلسطين لأنه لن يسمح لسفينة الحجاج بمتابعة الإبحار بهم لأنها ملكية خاصة بالبندقية . وإزاء ذلك انقسم الحجاج لقسمين ، قرر أولهما العودة من حيث أتوا ، في حين اشترى الآخرون ومن بينهم فيلكس فابري سفينة ليبحروا بها نحو فلسطين . وجدير بالذكر وفق ما يذكره فيلكس فابري أن الحجاج الذين عادوا للبندقية ولتبرير عودتهم نشروا في البندقية وكل الموانئ التي مروا بها وفي مدن إيطاليا وألمانيا وفرنسا شائعة بأسر الأتراك للحجاج الذين واصلوا رحلتهم إلى فلسطين ، وهو ما لم يحدث في الواقع . لدرجة تلاوة الصلوات على أرواحهم في بلدانهم ، وهو ما يؤكده فيلكس فابري بقوله إن الصلوات أقيمت لروحه في سوابيا **Suabia** وبافاريا **Bavaria** . ولحسن حظ الحجاج الذين قرروا متابعة السفر لفلسطين هبت ريح قوية مواتية عند مرورهم بجزيرة

رودس جنبتهم أي خطر محتمل من جانب الأسطول التركـــي ، ليصـــلوا إلى فلســـطين ويقوموا برحلة حجهم [٨٩].

٢- مدينة رودس عشية الحصار التركي لها :

كانت مدينة رودس يومها مدينة ليست بالضخمة جدا ولكنها جميلـــة . وُجـــد جزءها الشمالي بجوار البحر ، في حين وقع بقية أركانها الثلاثة على أرض ســـهلية فـــوق منحدر هضبة صغيرة مرتفعة في الجزء الشمالي من الجزيرة التي حملت اسمها. وكانت المدينة حسنة البناء مسورة من كافة نواحيها بسور مزدوج تنتشر عليه المدفعية ، ومدعوم بأبراج عديدة بكل منها أجزاء بارزة ، ويحيط به من خارجه خندق مائي ضخم وعـــاش يهـــود المدينة بداخلها في مساحة امتدت من الزاوية الجنوبية الشرقية لسور المدينة حتى الميـنـــاء المخصص لسفن التجارة ، وذلك في منطقة منخفضة تباعدت فيها أبراج سور المدينة عن بعضها البعض ، ولذا كان هذا الجانب للمدينة الأضعف من الناحية الدفاعية . وكانـــت الجزيرة حسنة التجارة ، ومثلت إحدى أهم المحطات البحرية في السواحل الشرقية للبحر المتوسط ([٩٠]).

أما الحي الذي أقام فيه الفرســـان الإســـبتارية المســـمى بـــترل اللغـــات **the Mansions of the Languages** ، فكان أفضل أحياء المدينة ، وأقواها بفضل موقعه الطبيعي وتحصيناته . فقد أحاطه البحر شمالا وغربا ، وحماه حصنين وتسعة أبـــراج وتحصينات امتدت حتى البحر ، وفصل الحي عن باقي المدينة حيث عاش أهلها وقاطنيها حائطاً سميكاً للغاية مطوقاً بأبراج ([٩١]) .

ويذكر الفرنسي بيير باراتر الذي وصل للجزيرة بعد أقل من شهر مـــن نهايـــة الحصار أنه وجد بالجزيرة أناسا من كافة الأمم ، وأن عدد المدافعين عن مدينـــة رودس

([89]) Felix Fabri, op. cit. vol. vii.

([90])Anonyme, op. cit., p. 114; Santo Brasca, op. cit., p. 122. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 133-4; Joshua Starr, Romania, The Jeweries of the Levant after the Fourth Crusade, Paris, 1949, p. 85

([91])Anonyme, op. cit., p. 114. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 135.

كان حوالى الألفين ([92]). في حين يشير الإيطالي سانتو براسكا في نفس الوقت لتجواله في المدينة بصحبة فرسان من لومباردي **Lombardi** ، و ميلانو **Milano** ([93]) .

مثل ميناء مدينة رودس الذي وصفه حاج فرنسي مجهول سنة ١٤٨٠م بالأجمل والأوسع بين كل موانئ الطريق من أوروبا إلى بيت المقدس باستثناء ميناء كريت الذي كان أقوى وأصعب في مدخله ([94]) ، مثل مركز دفاعها الأساسي . وتشكل الميناء بحاجزي أمواج إمتدا من أسوار المدينة من الجنوب للشمال لنحو ربع ميل في البحر ، وقابل أحدهما الآخر في هيئة لسانين بحريين كما لو كانا يحتضنان الميناء ، ولم يتركا متسعا لأكثر من سفينة واحدة للمرور في نفس الوقت . وكان مدخل الميناء محروساً ببرجين قويين . ففي نهاية الحاجز أو الرصيف الشرقي الذي امتدت عليه ثلاث عشرة طاحونة هوائية وجد برج مستدير سمي برج فرنسا **La Tour de France** أو برج الطواحين أو برج القديس الملاك **St. Angel** الذي وضع عليه بيير دوبسو شعار جيش فرنسا . أما الحاجز أو الرصيف الغربي الذي أقيمت فوقه ثلاث طواحين هوائية فقط فقد كان مغلقا ومحميا بمدخل قوي من الصخور الضخمة ، ووجد بآخره برج مربع سمي برج نايلاك **Naillac** نسبة للمقدم الأكبر فيليبيرت دو نايلاك **Philibert de Naillac** (١٣٩٦ – ١٤٢١م) . وتقدمهما بجوارهما برج القديس نيقولاس الذي حمى الميناء وأغلق الحاجز بما لم يسمح بمرور أية سفينة أو إنسان بحرا أو برا دون إذن البرج (أنظر اللوحة في الصفحة التالية) ([95]) .

ولقد بني برج القديس نيقولاس المستدير الذي يبلغ سمك أسواره عشرين قدما على مسافة مائتي خطوة في البحر بعد أن رفع البنادقة حصارهم للجزيرة سنة ١٤٦٤م . إذ رأى مقدم الإسبتارية رامون زاكوستا **Zacosta** مدى الفوائد التي ستعود على المدينة من بناء برج على تلك الصخور للدفاع عنها . ولهذا آل على نفسه على مدى

([92])Pierre Barbatre, op. cit., p. 157.
([93]) Santo Brasca, op. cit., p. 122.
([94]) Anonyme, op. cit., pp. 113-4.
([95])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 142; Anonyme, op. cit., p. 114; Santo Brasca, op. cit ., p. 122. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 135-6; A. G. B. Schayes, op. cit., p. 111; Franz Balinger, op. cit., p. 397.

سنوات بناء ذلك البرج الذي نسبه للقديس نيقولاس . وتحقق بناء البرج بفضل إثنتا عشرة ألف قطعة ذهبية أعطاها له فيليب دوق برجندي **Philip of Burgundy** للانتهاء من بنائه . ولعله ما يفسر أمر إسناد حماية البرج لفرسان دوق برجندي ، وفرسان بروفانس **Provinces** (٩٦) .

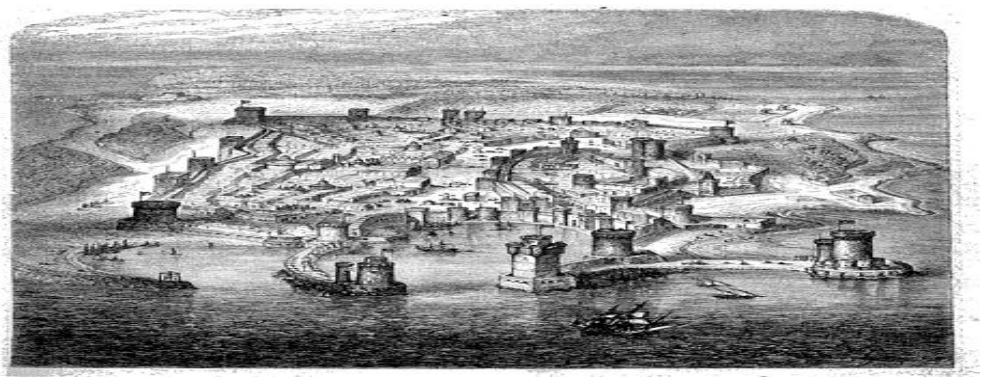

نظرة عامة لرودس سنة ١٤٨٠م (مخطوطة من القرن الخامس عشر)

مهما يكن من أمر ، استعد بيير دوبسو لمواجهة الأتراك بحامية من جماعة الإسبتارية من مختلف الأجناس ، تكونت من حوالي مائتي وخمسين إلى ستمائة من الفرسان وحملة السلاح . ويضاف إليهم ما بين ألفين إلى أربعة آلاف من المرتزقة الذين كانوا يحصلون من الجماعة على مقابل لخدماتهم العسكرية . فضلا عن القراصنة الذين اعتادوا اتخاذ رودس قاعدة لهم ، وكذلك بعض أهالي الجزيرة من اليونانيين الذين تم تسليحهم . وعلى اختلاف الآراء تشكلت القوة المدافعة عن الجزيرة من ثلاثة آلاف وخمسمائة إلى خمسة آلاف رجل(٩٧) .

كان ذلك حال مدينة رودس عندما قدم الأتراك لساحلها ليضربوا حصارا عليها في الثالث والعشرين من مايو سنة ١٤٨٠م كما ذكر البلجيكي جورج لونجهيرا (٩٨)، أو

---

(96)Georges Lengherand, Op. cit., pp. 104-5. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 137; A. G. B. Schayes,, op. cit., p. 111.

(97)Eric Brockman, op. cit., 65; E. J. King, op. cit., p. 64; Helen J. Nicholson, op. cit., p. 61.

(98) Georges Lengherand, op. cit., p. 103. Cf. also: Eric Brockman, op. cit., p. 65.

في الرابع والعشرين من مايو كما أشار الحاج الفرنسي المجهول ، ومواطنه بيير باربـــاتر ، وليس الثالث من مايو كما أورد جان مولينيه (٩٩).

٣ – نزول الجيش التركي بالجهة الغربية خارج مدينـــة رودس ، وأعـــداده وعتاده:

أيا كان القول حل الأسطول التركي بخليج تريانداBay of Trianda(١٠٠)، ليلقى مرساته أمام جبل القديس ســـتيفن (١٠١) Saint Stevens (١٠٢) في الجهـــة الغربية لمدينة رودس في الثالث والعشرين من مايو . فتصدى لهم حوالي ألفي رجل دفاعا عن المدينة (١٠٣) . وعلى الرغم من المقاومة الشديدة التي أظهرها الفرسان الإسبتارية لمنع هبوط الأتراك ، إلا أن الليل حال بين الطرفين فاستطاع الأتراك النزول إلى البر . وبمجئ فجر الرابع والعشرين من مايو استقروا فوق جبل القديس ستيفن ومنحدراته والســـهول المجاورة وتحصنوا به ، ليضربوا خيامهم ويقيموا معسكرهم من فورهم فوقه . ويبدو أنهم اختاروا هذا الموقع بعناية من خرائط أتيحت لهم قبلا ، وهو موقع مكنهم من اســـتطلاع أماكن كثيرة من المدينة . أما كل مدفعيتهم الضخمة وأحجارها وآلات الحرب الأخرى فقد أنزلوها إلى الشاطئ لاستخدامها لاحقا نظرا لإرتفاع جبل القديس ســـتيفن (١٠٤) . ومما يجدر ذكره أنه كان لدى الباشا يومها جيشا لا يقل عن مائة ألف رجل ، مكونا من أفضل فرق الأناضول Anatolia ، ونخبة الفرسان السباهية spahies وصفوة جند المشاة من الانكشارية janizaries ، فضلا عن أربعة آلاف متطوع . غير أنه وبعد أن عسكر الأتراك بهذا المكان عادت بعض سفنهم إلى ميناء فوستو Fusto ببحر مرمـــرة

---

(99)Anonyme, op. cit., p. 114; Pierre Barbatre, op. cit., p. 159; Jean Molinet , op. cit., p. 249 .

(100) E. J. King, op. cit., p. 64.

(101)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 141.

(١٠٢) يعرف الجبل اليوم باسم جبل سيدني سميث Mount Sidney Smith نسبة لأدميرال بريطاني كان يمتلـــك منزلا به .انظر :

Franz Balinger, op. cit., p. 397.

(103)Pierre Barbatre, op. cit., p. 162 .

(104)Guillaume Caoursin, op. cit ., p. 141.

لجلب المزيد من فرسان ومشاة القوات التركية للمشاركة في الحصار . وينـــوه مـــاري دوبوي أنه طوال الحصار التركي لرودس كانت سفنهم تأتي بقوات من مينـــاء فوســـتو لإضافة نوع من النشاط والحيوية للقوات التركية (١٠٥) ولعل ذلك قد يفسر ما ذكـــره سانتو براسكا من أن الأتراك كانوا يحاصرون رودس بثلاثمائة وخمسين سفينة (١٠٦).

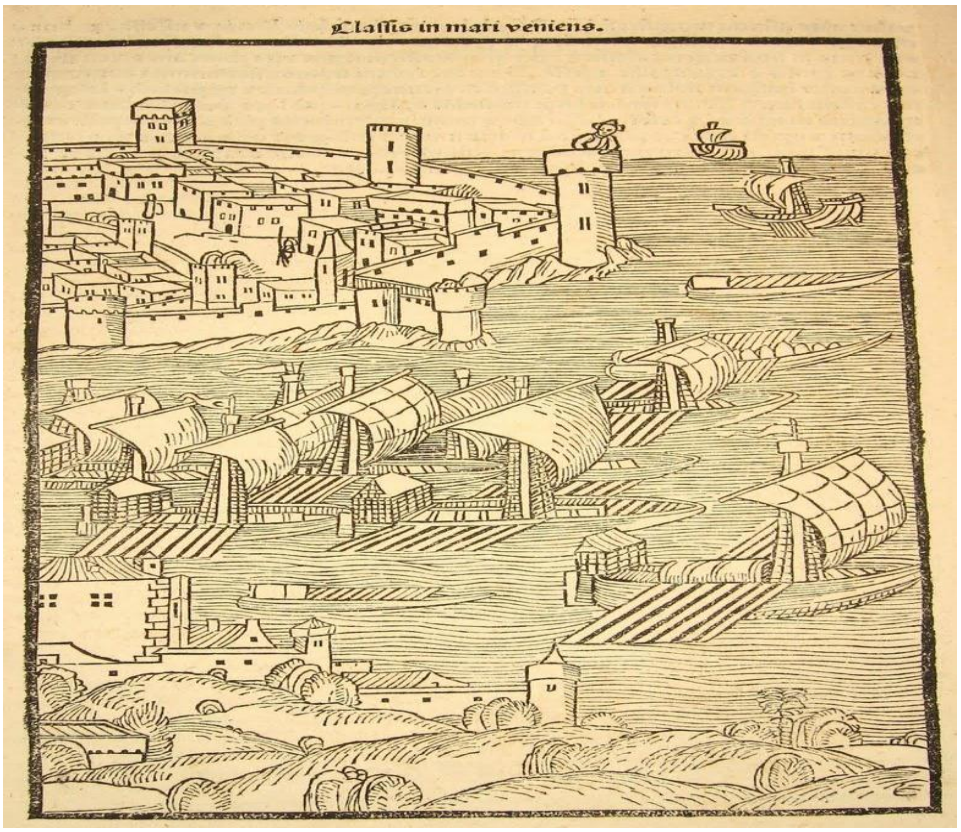

لوحة تصور وصول الأسطول التركي لساحل رودس (نشرت ١٤٩٦م)

(105)Guillaume Caoursin, op. cit., 141; Pierre Barbatre, op. cit., p. 159; Jean Molinet, op. cit., p. 249. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 137-8; Eric Brockman, op. cit., 66; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 351; Franz Balinger, op. cit., p. 397.
(106) Santo Brasca, op. cit., p. 59.

٤ ــ الهجمات الأولية المتبادلة بين الأتراك والمدافعين عن رودس :

لم ينتظر الأتراك طويلا لمهاجمة رودس ففي صباح يوم الرابع والعشرين من مـــايو وبمجرد الانتهاء من إقامة معسكرهم ، تقدمت فرقة من أشجع وأشد فرسانهم ومشـــاتهم لمهاجمة خندق وأسوار المدينة لإظهار قدراتهم أمام أهل رودس . ورد عليهم حرس الأسوار والأبراج بقذفهم بالمدافع ، كما سارعت جماعة من الفرسان الإسبتارية بالتصـــدي لهـــم وذبحوا أعدادا كبيرة منهم وأجبروا بقيتهم على التراجع ([١٠٧]).

وفي اليوم الذي يليه ، الخامس والعشرين من مايو ، وفي الوقت الذي كان فيـــه أهل رودس يتناولون طعام العشاء بادرهم الأتراك بهجوم ثان انتهى كسابقه بقتل بعضهم وفرار البقية ([١٠٨]).

ورد الفرسان الإسبتارية بهجمة مضادة ثانية بقيادة القائد العام لرودس أنطـــوني دوبسو شقيق المقدم الأكبر الذي لم ينتظر حتى يأتي الأتراك إليه ، ولكنه أسرع بقواته نحو مجموعة منهم ومزقوهم شر ممزق . وفي هذا الهجوم شارك أهل رودس اليونانيين الفرسان الإسبتارية في الدفاع عن مدينتهم . وكان المتحول للإسلام ديمتريوس سوفيانوس في زمرة الأتراك في هذا التزال فدافع عن نفسه بكل ما أوتي من قوة ، ولكن حصانه قُتل فسقط على الأرض وداسته أقدام الخيول حتى الموت . وبهذا الشكل ، يكون قد قُـــدر المـــوت لليونانيين المتعاونين مع الجيش التركي اللذين عول كثيرا على معلوماتهما في الاســـتيلاء على رودس ، فقد سبق وأن توفي أنطونيوس ميليجال على ظهر إحدى السفن التركيـــة أثناء توجهها إلى رودس بفعل حمى أصابته ، أو نتيجة لسقوطه في البحر وغرقـــه علـــى اختلاف الروايات . ونتيجة للهجوم فقد المدافعون عن رودس الفارس دو مـــرات **de Murat** وهو من أوفيرني **Auvergne** ، فكان أول ضحايا الحصار التركي للمدينة

([107]) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 141. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 139; Marcello Maria Marrocco Trischitta, op. cit., p. 14.
([108]) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 141.

. ولقد سارع الأتراك بوضع رأسه على حربة طافوا بها في معسكرهم لتحميس الجند ، في حين استرد الفرسان الإسبتارية بقية الجثمان ودفنوه ([109]) .

ومع هذا ، يتفق جان مولينيه وماري دوبوي على أن الفارس المتوفي قطلاني يسمى السيد بيير بورجس **messir Pierre de Bourgés** ، كان قد خرج بأمر المقدم الأكبر من طريق القصر لإستدعاء من بخارج المدينة من أهلها كي لا يتعرضوا لأي سوء . ولكن الأتراك فاجئوه وحاصروه ، ورغم دفاعه المستميت ، إلا أن أحدهم عاجله بضربة على رأسه طرحته أرضا ، فقطعوها ، في الوقت الذي حمل فيه فرسان الإسبتارية بقية الجسد لقصر المقدم الأكبر داخل المدينة ([110]) .

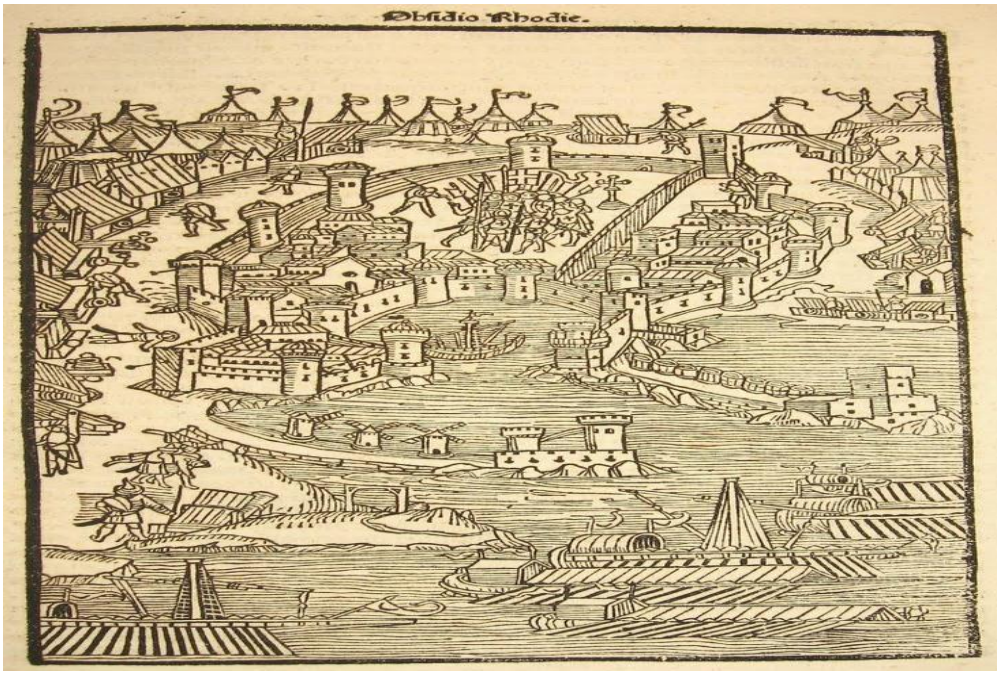

لوحة تصور الحصار التركي لمدينة رودس (نشرت سنة ١٤٩٦م)

([109]) Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 140-1. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 126-7, 139-142; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii, p.349; Franz Balinger, op. cit., p. 397.

([110])Jean Molinet, op. cit ., p. 250; Mary Dupuis, op. cit., p. 600.

٥ – توجه الأتراك نحو مهاجمة برج القديس نيقولاس :

بهذا الشكل فشلت المحاولتان الأولتان للأتراك لاقتحام مدينة رودس ، فنصحهم السيد جورج المتحول الثالث للإسلام الباقي بخدمة الأتراك بدك برج القديس نيقولاس لأنهم إن سيطروا عليه أحكموا قبضتهم على ميناء المدينة ومنعوا عنها المساعدات الخارجية ، فقد كان يمثل أساس النظام الدفاعي عن المدينة ، ولا يستطيع أحدٌ دونه دخول المدينة برا أو بحرا لتقديم الدعم والمدد لها ، مما سيؤدي في النهاية لاستسلامها . واقتناعا من مسيح باشا بنصيحة المهندس الألماني ، وفي التو في يوم الخامس والعشرين من مايو ، أمر بحمل ثلاث قطع عظيمة من المدفعية إلى الحدائق المجاورة لكنيسة القديس أنطونيوس الصغيرة التي أطلت على البحر خارج مدينة رودس على مبعدة مائتي خطوة من برج القديس نيقولاس . ووضع الباشا قطع المدفعية التي استهدفت ضرب البرج تحت مسئولية المهندس الألماني السيد جورج ([١١١]).

وكما يذكر بيير باراباتر ، بعد وصول الجيش التركي لرودوس بخمسة أيام ، أي في اليوم السابع والعشرين ، دك الأتراك برج القديس نيقولاس والقسم الشمالي من المدينة ولاسيما حي الفرسان حيث يوجد قصر المقدم دون توقف إنطلاقا من حدائق كنيسة القديس أنطونيوس ([١١٢]) .

رد المقدم الأكبر على ذلك في الحال بخطة مضادة أمر فيها بوضع ثلاث قطع مدفعية ضخمة في حدائق نزل فرسان أوفيرني بحي الفرسان ، استهدفت الجانب الأيمن للجيش التركي بقطع الحجارة الضخمة ، فألحقت به ضررا عظيما وقتلت عددا كبيرا منه. ونشرت أصوات المدفعية المتبادلة بين المتحاربين طوال اليوم الفزع في أهل رودس . الأمر الذي دفع بيير دوبوسو للتجوال في المدينة مصحوبا بفرسانه الرئيسيين لتشجيع

([111])Guillaume Caoursin, op. cit ., 141 Anonyme, op. cit,, p. 116. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 142; William Weir, op. cit., p. 162; Franz Balinger, op. cit., p. 397; E. J. King, op. cit., p. 64; Helen J. Nicholson, op. cit., p. 62.

([112])Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Guillaume Caoursin, op. cit .,p. 141; Jean Molinet , op. cit., p. 250.

أهلها بوجوده بينهم ، كما زار مراكزها الدفاعية لشد أزر جنوده وحثهم على الاستماتة في القتال ([113]) .

٦ ــ تظاهر المهندس الألماني بنبذ خدمته للأتراك وارتداده عن الإسلام:

وعند بزوغ صباح اليوم التالي (الموافق ٢٨ مايو) ([114]) ظهر المهندس الألماني السيد جورج تجاه قصر مقدم الإسبتارية بالقرب من نهاية الخندق المائي المحيط بأسوار المدينة ، وكان ضخم الجثة لبق الحديث خبيثا وخبيرا في المدفعية . وبادر بتحية أهل رودس ، والمناداة على الحراس ليفتحوا له بوابة المدينة للدخول لإنقاذه من الأتراك ، فردوا عليه بقذفه بالأحجار . بيد أن عددا من الفرسان حالوا بينهم وبينه ، واقتادوه لداخل المدينة بأمر من المقدم الذي سأله عن سبب رغبته في دخول المدينة ، فبررها برغبته في نبذ خدمته للأتراك بعد أن أدرك زيف معتقداتهم ، وتقديم خدماته للدفاع عن المدينة ، ووفاته وهو يدافع عنها وعن المسيحية . وانقسم أهل رودس وفرسان الإسبتارية إزاء رد المهندس الألماني إلى قسمين ؛ ففي حين نظر فريق منهم إليه على أنه جاء للمدينة للتجسس عليها ، رأى فريق آخر أنه أتى للمدينة تائبا للتكفير عن ذنبه بتحوله من المسيحية إلى الإسلام ، وتقديمه لخبراته العسكرية للأتراك على حساب المسيحيين ([115]).

وبعدئذ سألوه عن الجيش التركي وتجهيزاته ، فأجاب أن عدده يزيد عن مائة ألف رجل في رواية ومائة وسبعين ألف في رواية أخرى بخلاف القوات التي سترفدهم . وأن الأتراك بجانب مدافعهم المعتادة ، لديهم ست عشرة قطعة مدفعية ضخمة يبلغ طول الواحد منها إثنا وعشرين قدما ، أو إثنا وثلاثين قدما كما في رواية جان مولينيه ، وسمك قائم كل منها قدما وأربعة أصابع من المعدن . وهي تلقي مقذوفات قطرها ما بين تسعة وإحدى عشرة راحة يد **palmes** من الإستدراة ([116]) ، فضلا عن ستة مدافع **Mortar** في قول وأحد عشر في آخر تلقى أحجاراً بأحجام مماثلة أو أكبر ، والكثير

([113])Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 141-2. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 143.
([114]) Eric Brockman, op. cit., p. 70.
([115])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 142.
([116])Santo Brasca, op. cit., p. 122.

من مدافع البارود اليدوية الصغيرة **bastons à feu** (**batons à feu**) ، وانتهى بالقول بإن الترك يؤثرون تدمير كل شئ على ألا يرفعوا حصارهم للمدينة .

مهما يكن من أمر ، ففي الوقت الذي انقسمت فيه الآراء حول المهندس بين مصدق ومكذب له ، أرجئ البعض الحكم عليه حتى يروا أفعاله . وكان في مقدمتهم المقدم الذي عمد لاستغلال الفرصة التي وضعها الحظ بين يديه باستخدام هذا المهندس في حال صحت إدعاءاته . ولذا طالب مسئولي المدفعية من فرسانه باستشارته في كل شئ وعدم نصب أي مدفع بدونه . كما منعه من العودة لمعسكر الأتراك ، أو الاتصال بهم . وبعد بضعة أيام أُلقيت من المعسكر التركي سهاما على المدينة تحتوي رسائل تحذر أهلها من خيانة المهندس . فأمر المقدم ستة جنود بملازمته وشغله بقتال دائم ، وبألا يتركوه بمفرده أبدا ليل نهار ، في الوقت الذي بات فيه يأخذ أية نصيحة للمهندس بحذر وريبة(١١٧) .

وفي نفس اليوم الثامن والعشرين من مايو ، أرسل بيير دوبسو سفينة تحمل نسخا من نداء عام لكافة أعضاء الجماعة بأوروبا يعلمهم فيه بوصول الأسطول والجيش التركي للجزيرة لحصارها حتى اسقاطها ، مع استمرار المدافعين عن الجزيرة في مجابهتهم حتى وصول مساعدات الأخوان الإسبتارية إليها (١١٨) .

وشهد اليوم الأخير من مايو ضرب المدفعية التركية للمدينة وقصر المقدم الأكبر بالأحجار والمقذوفات ، مما أدى لسقوط عدة مباني كان بعضها خاصا بالإسبتارية . ولكن مما يدهش له أنه لم ينجم عن هذا القصف أية إصابات بشرية (١١٩) . كذلك ومن اللافت للنظر أنه وفي ظل هذا الحصار أمكن لسفينة قادمة من صقلية تحمل قمحا ونجدة عسكرية قوامها مائة جندي دخول ميناء رودس دون أن يستطع الأتراك منعها (١٢٠) .

---

(117)Guillaume Caoursin, op. cit., p.142; Jean Molinet , op. cit., pp. 250-1. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 145; Franz Balinger, op. cit., p. 397.
(118)Eric Brockman, op. cit., pp. 71-2.
(119)Jean Molinet, op. cit., p. 251.
(120)Eric Brockman, op. cit., pp. 71, 75.

٧ ــ الهجوم التركي الأول على برج القديس نيقولاس :

بعد تفكير مسيح باشا باليولوجس مليا في الأحداث السابقة ، وقر في ذهنه أن رأي المهندس الألماني بأن الاستيلاء على برج القديس نيقولاس سوف يمكن الأتراك من اسقاط المدينة هو أنسب الآراء . وبعد خمسة عشر يوما من بداية الحصار ، أي ما يوافق السابع من شهر يونيو ، أخذت قطع المدفعية الثلاث الضخمة المنصوبة قرب كنيسة القديس أنطونيوس تضرب البرج ليلا ونهارا ، حتى اهتز من أساساته ، ودُمرت أجزاءًا منه، وأوقع كل حائطه الغربي تقريبا من ناحية البحر . ولقد أحدث

وقوعه صوتا رهيبا ، كان له إلى جانب صوت المدفعية أكبر الأثر في إدخال البهجة على الأتراك ، والرعب بين أهل رودس ([١٢١]) .

لم يكن بمقدور حامية البرج الصمود أمام ضراوة واستمرارية القذف ، بيد أنه لزم الحفاظ عليه بأي ثمن وإلا ضاع كل شئ . ولهذا اختار المقدم خيرة الفرسان والجنود والمدافعين عن المدينة لمساندة حامية البرج ، وأرسلهم إلى هناك تحت قيادة الإيطالي فابريزيو ديل كاريتو **Fabrizio Del Carretto**، وأوضح لهم أهمية البرج وضرورة ألا يسقط مهما كلف الأمر . وما انفك يخبرهم ويذكرهم أن بيدهم قدر رودس ، ففي سقوط البرج سقوط رودس وميناؤها . وذهب المقدم بنفسه في قارب إلى هناك ليتفقد مدى التدمير الذي أحدثته المدافع في البرج ، فوجد أن جزء من الحائط قد وقع فأعاد تقويته بالأحجار ، كما صنع سياجا من العوارض الضخمة التي سمرت الواحدة منها في الأخرى لتقوية محيط البرج والخندق الذي يتجوف من الصخرة . كما تبين له سقوط جزء من البرج ، فأمر بإبعاد الحطام المتساقط لتيسير حركة الحامية . ولأن الخليج الصغير الذي تضرب أمواجه الجانب الغربي من الحاجز كان منخفضا بدرجة تجعل من السهل اختراقه ، بذل المقدم قصارى جهده هو وفرسانه لمنع الأتراك من الاقتراب منه بصف ألواح خشبية في قاع المياه تم إلصاقها جميعا بمسامير حديدية ، ثم قام رجال أشداء

([121]) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 143; Jean Molinet , op. cit., p. 251; Santo Brasca, op. cit., p. 122. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 147.

من الحرس بتثبيتها عند الحائط الخارجي لذلك الجزء من البرج . كذلك نظم محاربين تحت سور المدينة الداخلي ، وأسفل السور الخارجي الممتد على البحر ، وعلى طول المنطقة الشاطئية المسماة باسم ماندريكي **Mandracke**، فضلا عن وضع العديد من الفرسان والمشاة على الشاطئ لمنع الأتراك من النزول إليه . وصف أيضا فرقا شجاعة من الفرسان الفرنسيين والإسبان بجوار الخندق المائي لإعانة حامية البرج في ذلك الظرف . كذلك أمر بوضع ألواح خشبية مليئة بالمسامير والقطع المعدنية في المياه الضحلة لساحل رودس لتحول دون نزول الأتراك على الشاطئ أو العبور فوقها (١٢٢).

كذلك واحكاما في الدفاع عن البرج وضع المقدم العديد من قطع المدفعية وقاذفات الأحجار حول الأسوار وعلى حاجز أمواج البرج لإغراق السفن التركية المتجهة نحوه بغية تحقيق الأفضلية للترك في الهجوم برا وبحرا . في الوقت الذي وضع فيه أسفل البرج قوارب صغيرة قديمة محملة بالبارود وبالأحجار وأشياء أخرى لتفجيرها في السفن التركية حال اقترابها من البرج والحاجز ومهاجمتهم لهما . وللدفاع عن البرج بنفسه أمضى المقدم طوال الليل على ظهر جواده بسلاحه مع أخيه فيكونت مونتوي متابعا لكل تلك التجهيزات ، وللإبقاء على انتباه رجاله من الفرسان والجنود الذين قضوا بدورهم كل ليلهم في مراكزهم مستعدين للقتال ظناً منهم أن الأتراك سيبادرون من فورهم بمهاجمته (١٢٣) .

لم يهاجم الأتراك برج القديس نيقولاس في التو ، واستمر أهل رودس يترقبون الهجوم ساعة بعد ساعة . وكما تورد إحدى الوثائق وقبل فجر اليوم التاسع من يونيو(١٢٤) ، أو عند ظهور نهار العاشر من يونيو كما ذكر بيير باريا تر بدأ الهجوم الرئيسي الأول على المدينة . وفيه تحركت خمسون سفينة تركية من أمام جبل القديس ستيفن وتوجهت نحو البرج محدثة ضجة هائلة بفعل صرخات الأتراك وضربات مدافعهم ،

---

(122) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 143. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 147-8; Eric Brockman, op. cit., p. 69.

(123) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 143. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 149-50.

(124) Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p. 69.

وأصوات الطبول بغرض بث الخوف في نفوس الفرسان الإسبتارية والمدافعين عن رودس([125]).

وبمجرد اقتراب الشواني التركية من صخور البرج لمهاجمته بحرا ، وثب مشاة الأتراك بضراوة منها إلى الشاطئ لمهاجمة البرج برا . وفي الحال رد عليهم المدافعون بوابل من ضربات المدفعية التي وضعوها فوق الأسوار وحولها ، فدمروا العديد من سفنهم ، وقتلوا الكثير منهم في المكان . وبرغم كل القذائف التي كانت تُقذف من المدينة لردهم ، حاول الأتراك بجسارة تسلق البرج ، وتحمل المدافعون الهجمة بثبات أدهش المهاجمين . وشجعهم على ذلك وجود المقدم معهم وضرورة دفع الهجوم حتى لا يصبح الموت مصيرهم . وبالفعل أُسقط حماة رودس غالبية الترك الذين حاولوا تسلق البرج فوق الصخورالمحيطة به ما بين قتيلا وجريحا ، ولكن مواقعهم سرعان ما امتلأت بغيرهم . فقد حرص ألكسيوس أوف تارسوس **Alexius of Tarsus** أحد أشجع الأتراك ــ والذي قاد الأتراك في ذلك اليوم مكان مسيح باشا لأنه كان مريضا ملازما لفراشه في المعسكر ــ على رفد المهاجمين برجال نشطاء . ولقد انعكست بسالته على الأتراك لدرجة أنهم قاتلوا كما وصفوا بجسارة كحيوانات متوحشة لا تهاب الموت . ولذا بدا الأتراك كما لو أن أعدادهم لم تتناقص ، وكما لو أن الضربات التي تعرضوا لها لم تؤثر بهم ([126]).

إزاء هذا الهجوم الشرس استمات الفرسان الإسبتارية في دفاعهم عن برج القديس نيقولاس بقيادة المقدم الأكبر الذي قاتل الأتراك يومها يداً بيد حتى شجت رأسه بحجر شأنه شأن أي جندي ، فارتدي خوذة بدلا من قبعته واستمر في القتال بهدوئه المعتاد ، فارتطمت بدرعه العديد من السهام ، وثقبته في عدة مواضع . وجعلت شجاعة المقدم وإقدامه الكثير من الفرسان يخافون عليه ، فرجوه التراجع خشية على سلامته الشخصية . وقابل المقدم الأمر بالابتسام ، وتابع مع أخيه فيكونت مونتوي والمدافعين عن البرج مواجهة الخطر التركي . وذلك في الوقت الذي استمر فيه تبادل كتل النيران وطلقات

([125])Pierre Barbatre, op. cit., p. 160.

([126])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 143. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 151; William Weir, op. cit., p. 163; E. J. King, op. cit., p. 64.

المدافع والسهام والأحجار بين الطرفين . وردا على هذا الهجوم التركي الشرس أخـــذت سفن نيران الإسبتارية ترسل حممها ، ومدفعية حامية البرج تطلق مقذوفاتها على الســـفن التركية دون هوادة . ولقد حاولت السفن

لوحة تصور الهجوم التركي الأول على برج القديس نيقولاس (نشرت سنة ١٤٩٦م)

التركية دفع هذا الخطر عنها بالانتقال من طرف إلى آخر كما هي عادتها في مثل هذه الحالات ولكن دون جدوى ، مما أجبرها في النهاية على التراجع ، بعد أن فُقد منها عددا كبيرا في وقت قصير ([١٢٧]) .

([127])Guillaume Caoursin, op. cit ., p.143. Cf. also : Dominique Bouhorus, op. cit., p. 153.

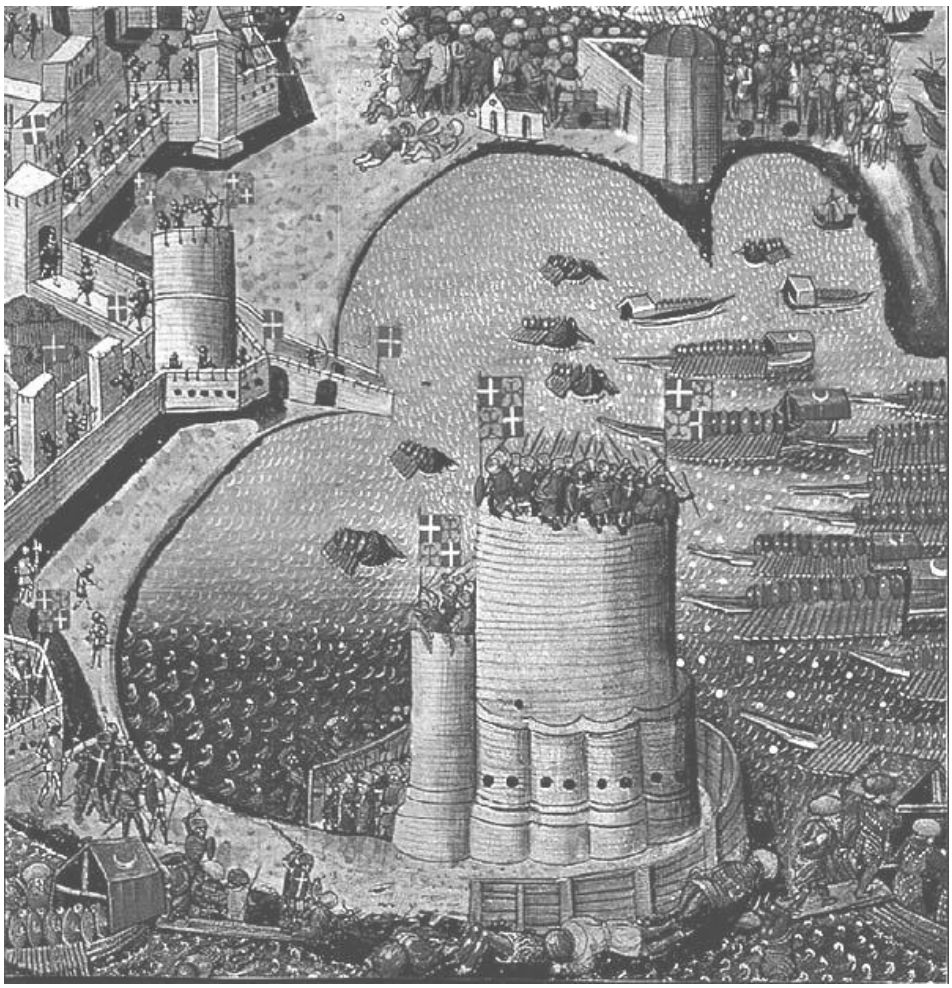

الهجوم التركي الأول على برج القديس نيقولاس (منمنمة معاصرة)

ووفق ما جاء في المصادر الأوروبية فقد الأتراك في تلك المرحلة من الحصار مابين ستمائة وسبعمائة قتيل ، إلى جانب غرق وجرح الكثير منهم ، في الوقت الذي لم يقتل فيه أي من المدافعين عن برج القديس نيقولاس وحاجز أمواجه ، ولم يلحق بجانبهم سوى عدد قليل من الجرحى . وتشير الروايات الأوروبية لوقوع بضعة أحداث أقرب للأسطورة منها إلى الحقيقة خلال هذا الهجوم كانت سببا لهزيمة الأتراك : منها أنه عند اكتمال ضوء الصباح ذكر عدد ممن لجئوا من معسكر الأتراك لداخل مدينة رودس أنهم شاهدوا من

معسكرهم فارسين يمتطيان جوادين يقفان على قوائمهم الخلفية في أعلى مكان من البرج ، ويجبران بقوة رهيبة الأتراك على التشتت . بالإضافة لرؤية بعض الأتراك لسيدة ذات وقار جلي على حافة برج القديس نيقولاس كانت تحث الفرسان الإسبتارية على القتال ، ولقد فزع الأتراك من هذين الفارسين وهذه السيدة لأنهم كانوا يعلمون أنه لا يوجد فرسان راكبون أو أي إمرأة في البرج ([١٢٨]).

بمجرد عودة سفن الأتراك المهاجمة لبرج القديس نيقولاس لأدراجها، وانضمامها لبقية سفن الأسطول الموجودة أمام جبل القديس ستيفن ، وزوال الخطر ولو مؤقتا عن البرج ، عاد بيير دوبسو ـــــ والكلام دائما لوليم كاروسا ـ إلى المدينة وسط فرسانه كإمبراطور منتصر حيث استقبله أهلها كمخلص لهم. وتوجه الجميع إلى كنيسة القديس يوحنا المعمدان **Saint John the Baptist** التي وُجد بها اللوحة المسماة سيدتنا على هضبة فلـيرن **our Lady on the Hylle of Felerne** . وكانت كنيسة يونانية صغيرة داخل المدينة بالقرب من قصر المقدم الأكبر ، فركعوا أمام اللوحة وصلوا صلاة شكر لله والعذراء على هذا الانتصار . ثم توجه المقدم الأكبر لقصره ومعه رفقته لتقديم بعض المرطبات لهم احتفالا بهذا النصر([١٢٩]) . وبهذا الشكل انتهت المرحلة الأولى من الحصار التركي لمدينة رودس .

([128])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 143; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p. 69. Cf. also: Franz Balinger, op. cit., p. 397; E. J. King, op. cit., p. 64.

([129])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 144. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 154.

رابعا ــ المرحلة الثانية من الحصار التركـــي لـــرودس (١١– ٢٤ يونيو ١٤٨٠م):

١– تخطيط الباشا لمهاجمة رودس برا من عدة جهات :

لم يشجع الهجوم الأول مسيح باشا على القيام بهجوم ثان على بـــرج القـــديس نيقولاس بعد أن أدرك صعوبة الاستيلاء عليه . وجرى تفكيره نحو مهاجمة المدينة برا من أماكن عدة أضعف لتشتيت القوات المدافعة عنها في أكثر من مكان ، ولسحب القوات الموجودة في برج القديس نيقولاس من موقعها حتى لا تبق القوة المدافعـــة عـــن رودس متحدة . ودفعه إلى هذا التفكير ما علمه من أن القذائف التي أطلقها جيشه لم تصب البرج فحسب ، وإنما أصابت كذلك تحصينات وأسوار قصر المقدم والطريق المؤدي إليه وألحقت بعض الدمار بها . وهدف من تلك الخطة الجديدة إلى هدم سور المدينة ومـــلء خنـــدقها بالأحجار ليتمكنوا من دخولها والاستيلاء عليها ([١٣٠]) .

ولتنفيذ ذلك نشروا في الليلة التالية ــ وهم يحدثون ضجة شديدة ــ ثمان قطـــع مدفعية من قاذفات الأحجار أمام السور الجنوبي الشرقي في المكان المسمى بحي اليهـــود **La Juifferie** ، أو **La Giudecha** . كما وضعوا قطع مدفعية فـــوق جبـــل القديس ستيفن غرب المدينة ، ومنها تلقت رودس الكثير من الأحجار الضخمة . إضافة إلى وضع قطع مدفعية على طول الخندق المائي قصفوا منها أبراج الميناء المواجهة لها([١٣١]).

٢– إجراءات المقدم الأكبر لمواجهة الهجوم البري المرتقب :

عندما أدرك المقدم الأكبر نوايا الأتراك لم يغمض له جفن لعلمه بعدم قدرة حائط اليهود على الصمود أمام مدافع الأتراك . وباتت الطريقة الوحيدة لإنقاذ المكـــان هـــي التحصن خلف الأسوار ، ودعم الأجزاء الضعيفة منها بالأحجار والأخشاب والطـــين . ولذا اجتمع بأهل رودس وطلب منهم الصلاة تضرعا لله والعذراء . كما اتخذ إجراءات

([130]) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 142; Jean Molinet, op. cit., p. 252; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160.

([131])Anonyme, op. cit., p. 108; Santo Brasca, op. cit., p. 122.

عامة من بينها هدم منازل ومساكن اليهود المجاورة لسور المدينة ، وأمرهم باليقظة والدفاع عن حيهم . ووجه بحفر خندق عميق وضخم خلف السور داخل المدينة لإيقاف الأتراك، وطالب القائمين عليه بخلط مركبات النيران لرميها على من يأتي من الأتـــراك للخنـــدق لحرقهم بداخله ، وببناء حائط سميك من القرميد خلف الخندق فوق منطقة مرتفعة مـــن الأرض لدعم سور المدينة وإنقاذ وسطها في حالة ما استولى الأتراك على الأسوار الخارجية ودخلوا المدينة عبر الثغرات التي خططوا لإحداثها بها . وواصل المتطوعون من الرجـــال والنساء الليل بالنهار لإتمام تلك الأعمال بأيديهم دون تمييز في الطبقات الاجتماعيـــة أو الأصل اليوناني أو اللاتيني . وتقدم المقدم الأكبر العاملين ؛ فكان يحمل الأحجار ويضـــع عليها الكلس بنفسه لدفع العمل قدماً بضرب المثل بوجوده (١٣٢) .

تزامن انتهاء هذه التحصينات بصعوبة مع معاودة الأتراك ضرب المدينة بالمدفعية من جديد . وانهمرت المقذوفات على المدينة كالسيل دون انقطاع ، وكانت من الضخامة غير المعتادة بحيث أدهشت كل من في المدينة من أهالي وغرباء الذين أجمعوا أنهم لم يسمعوا أو يروا شيئا مفزعا ورهيبا مشابها لها . وردد ساحل البحر زئير المـــدافع الـــتي كانـــت ضوضاؤها تُسمع على مسافة أربعين فرسخ من جزيرة رودس كمـــا قيـــل في روايـــة ، ومسافة مائة ميل من رودس وفق أخرى . ولكن تأثير المدافع كان أكثر فظاعة من أصواتها التي كانت تسبب ما يشبه الزلزال . إذ كانت تضرب سور المدينة وتحدث ثغرات كبيرة فيه وكان أهالي رودس يسارعون بدعم الأجزاء المتساقطة من السور بـــالطوب والطـــين والأخشاب وبحفر خنادق خلفها داخل المدينة (١٣٣) .

ومن الأهمية الإشارة بمكان هنا إلى أن قطع المدفعية التي وضعها مسيح باشا فوق جبل القديس ستيفن وبعض المناطق المرتفعة الأخرى حول المدينة لضربها ليل نهار لتـــدمير منازلها ، ألقت الرعب في قلوب الجميع بحيث لم يجرؤ أحد على البقاء في منزله . كمـــا

---

(132)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 145; Jean Molinet, op. cit., p. 253; Santo Brasca, op. cit. p. 122. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 154-5; Joshua Starr, op. cit., p. 86; William Weir, op. cit., p. 163.

(133)Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 144-5. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 156.

نشر الأتراك مقاليعا حول المدينة ألقت في الجو أحجاراً ضخمة للغاية كانت تسقط على قرميد المنازل وتخترقها ، وتقتل من يعرض لطريقها داخل المنازل وخارجها مما أشاع الهول في المدينة ، وجعل السكان غير الآمنين على أنفسهم في المنازل والشوارع يصرخون وينتحبون ويتوجهون للكنائس يصلون ويعترفون داعين الله إنقاذهم ، فقد كانوا يتوقعون من ساعة إلى أخرى وقوعهم في أيدي الأتراك وأن يذبحون ([134]).

ولعلاج الموقف ، أمر المقدم بعد تشاوره مع مستشاريه بتراجع النساء والأطفال ومن ليست هناك حاجة لهم إلى فضاء وقع بين المنازل والأسوار غرب المدينة كان قد غطاه على امتداد كل مساحته بسقف قوي للغاية شكله من عوارض خشبية مربوطة معا تميزت بصلابتها الفائقة لمقاومة وزن أكثر الأحجار ثقلا . وجعل سقف هذا الملجأ أقل ارتفاعا من أسوار المدينة حتى لا يكتشفه الأتراك في حال تجسسهم على المدينة فيحولون مدفعيتهم إليه . وبالفعل لم يوجه الأتراك أية ضربات لهذا الموقع الذي ظنوه خاليا لعدم معرفتهم أن المواطنين غادروا منازلهم إليه ، في الوقت الذي كثفوا فيه مدفعيتهم نحو المباني والمنازل التي ظنوا أنها آهلة بالسكان وبخاصة وسط المدينة . وهكذا وبذكاء المقدم وحسن تخطيطه ، أو كما اعتقد وليم كاورسا بمعجزة من الله وصلوات المسيحيين كان لقذائف المدفعية التي وضعها الأتراك على الأماكن المرتفعة أثر ضئيل من الناحية البشرية ، إذ لم تقتل أو تصيب سوى قلة من سكان المدينة والجند والفرسان المدافعين عنها . وإن كانت قد هدمت بقوة سور حي اليهود وبعض أبراج سور المدينة ([135]) .

٣- التخطيط لاغتيال بيير دوبسو :

وجد الباشا أن قوة مدفعيته الهائلة لم تجبر المدينة على الاستسلام ، ووقر في ذهنه أن مقدم الإسبتارية هو العقبة التي تحول دون استيلائه على المدينة واستسلام فرسانها طالما معهم هذا القائد الخبير ، ولذا رأى أن أفضل طريقة لقلب الأمور هي بالتخلص منه . فاستدعى اثنين من المسيحيين كانا قد قدما لمعسكر الترك في بداية الحصار وأعلنا تحولهما

([134])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 145.
([135])Guillaume Caoursin, op. cit. p. 145. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 157-8.

من المسيحية للإسلام . وكان أولهما من دالماشيا **Dalmatia** يسمى جياني **Gianni**، وثانيهما من ألبانيا ويدعى بيزيو **Pizzio** . وسألهما الباشا ما الذي يستطيعانه بهذا الِشأن، وكان الألباني شخصا ذكيا ويعرف أحد أفراد سكرتارية المقدم وهو ايطالي يسمى جيان ماريا فيليلفو **Gian Maria Filelfo**، فعرض تقديم خدماته إما بطعن المقدم أو سمه بمساعدة هذا الإيطالي (١٣٦).

وبينما كان المتحولان يستعدان لمغادرة المعسكر وصل إليه على باشا قادما من القسطنطينية برسالة من السلطان محمد الذي بدأ يقلق على الحصار ليخبر مسيح باشا بقدومه إليه على رأس مدد قوامه مائة ألف رجل وأربعمائة مدفع . ونشر الخبر الحماسة بين الجنود الأتراك ، وفعل العكس في المدينة . ففي ظل هذه الأجواء تسرب المتحولان واحدا تلو الآخر إلى المدينة متظاهرين بهروبهما من الأسر الذي وقعا فيه لحظة هجوم الأتراك على المدينة ، وأخبرا سكانها أن السلطان محمد سوف يأتي إلى المدينة مع قوة هائلة، وأن كل شئ سيضيع منهم ما لم يعلنوا استسلامهم قبل وصوله (١٣٧).

وما أن سمع جمع من الفرسان الإيطاليين والأسبان القائمين بحراسة الموقع الذي دخل منه المتحولان بذلك ، اجتمعوا ليلا وقرروا فتح مفاوضات مع الأتراك للحفاظ على شرف أهل رودس . وكان من بين الإيطاليين فيليلفو الذي عهدوا إليه بمفاتحة المقدم في الأمر . وبمجرد أن استمع إليه المقدم ، استقدم هؤلاء الفرسان أمامه وأخبرهم أنه بإمكانهم مغادرة الجزيرة على متن سفن سيوفرها لهم إذا كانوا يخافون السلطان محمد . أما في حال آثروا البقاء في الجزيرة فعليهم ألا يتحدثوا عن أي حوار مع الأتراك بعد ذلك . وهددهم بالشنق إذا استمروا في تكوين عصبتهم المنادية بالتفاوض مع الأتراك . وعندما سمع الفرسان منه هذا الوعيد تراجعوا عما عزموا عليه (١٣٨) .

عند هذا الحد تكلم الألباني مع فيليلفو بصراحة ، وأخبره أنه ليس هناك ما يؤمل في رودس وأن عليه التعاون معه لاغتيال المقدم لصالح الترك. وأظهر له خطاب لمسيح

---

(136)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 146. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 158-9; Eric Brockman, op. cit., p. 80.
(137)Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 159-60.
(138)Ibid, op. cit., pp. 161-2.

باشا يمنيه فيه بالكثير إذا قام بهذا العمل . وجاراه فيليلفو وتظاهر بقبول الأمر ، وما أن استأذن الألباني في العودة لمقره ، ذهب فيليلفو من فوره للمقدم وأخبره بالأمر كله . فأمر المقدم بمثول الألباني بين يديه ، ولكنه أنكر كل شئ في البداية . كذلك استقدم المقـــدم الدلماشي لإستنطاقه ، وكان بدوره قد حاول اقناع أحد رجال مطبخ المقدم بدس السم له . وانتهى الأمر باعتراف الاثنين بما كان يخططان له ، وحوكما بالإعدام ، فانقض عليهما جموع أهل رودس وقطعوهما إربا في قول كاورسا ، في حين يذهب جان مولينيـــه إلى أن المقدم ربط حجر في جسد الدلماشي الذي خطط لسمه وألقاه في البحر (١٣٩) .

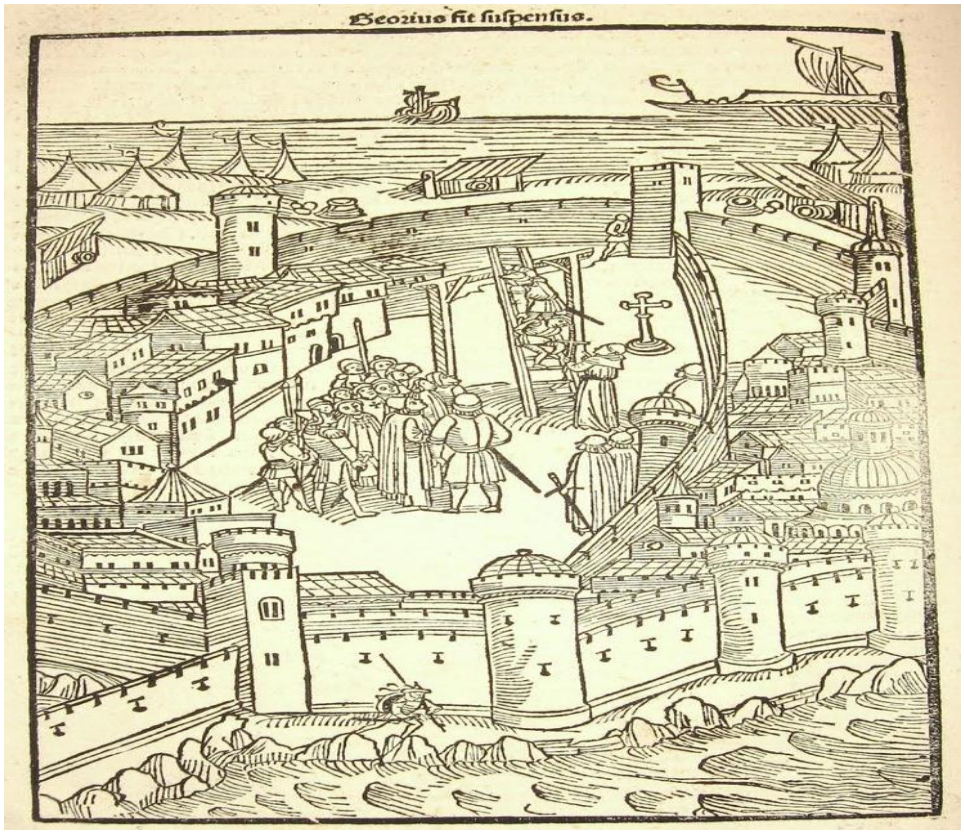

لوحة معاصرة لمشهد شنق أحد المتعاونين مع الأتراك (طبعت ١٤٩٦م)

(139)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 146; Jean Molinet , op. cit., p. 254. Cf. also; Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 163-5.

٤ــ مهاجمة المدينة من موضع حراسة الإيطاليين:

أدرك مسيح باشا باليولوجس فشل مؤامرته وأن عليه أن يحقق بالقوة ما فشل في تحقيقه بالخيانة . فأرسل رجاله في ظلمة إحدى الليالي بأحجار ضخمة لوضعها في الخندق المائي لملئه ، وكذا نصب بعض قطع المدفعية على ضفته عند جانب السور الذي يحرسه فرسان إيطاليا . وحالما اكتشف رجال المقدم ذلك عقد مجلسا لهم نذر فيه ما بين أربعين إلى ستين فارسا شابا من الإيطاليين والفرنسيين أنفسهم إما للموت أو تدمير هذه المدافع خلال الليل . وبالفعل هبطت المجموعة بقياده أحد الفرسان الإسبتارية من سور المدينة إلى الخندق بواسطة سلالم جلبوها معهم ، وجاء ذلك بسرية تامة لدرجة لم يلاحظهم فيها الأتراك إلا عندما أصبحوا أمامهم ، الأمر الذي أشاع الفوضى بينهم ، ففر معظمهم طلبا للنجاة . في الوقت الذي لحق الفرسان الإسبتارية بعشرة منهم وقتلوهم وقطعوا رؤوسهم ووضعوها على أسنة الرماح لعرضها على الأتراك المحاصرين لهم لإضعاف روحهم المعنوية، ثم حطموا مدافع الأتراك وألقوها في الخندق . وبإنتهاء مهمتهم عاد هؤلاء الفرسان مع قائدهم إلى داخل المدينة حيث استقبلهم أهل رودس بعظيم الشكر ، وقدم لهم المقدم هدايا لشجاعتهم وتقديم المثل الطيب في التضحية (١٤٠) .

هجوم مضاد للفرسان الإسبتارية ضد الأتراك عند جدار ايطاليا في سور رودس

---

(140)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 146. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 165-7.

٥ــ مهاجمة الأتراك ثانية لبرج القديس نيقولاس عبر جسر بحري:

جعل هذا الفشل الأتراك ينبذون كل تفكير لهم بمهاجمة المدينة من مركز حراسة الإيطاليين . فبعد تلك الحادثة عاد الأتراك إلى مخططهم القديم بتوجيه ضرباتهم إلى برج القديس نيقولاس ، إذ رأوا في سقوطه مفتاح النصر لهم . وفي الواقع كان مسيح باشا قد أمر ببناء جسر خشبي عائم يستوعب ستة رجال للوصول بواسطته من البر من جوار كنيسة القديس أنطونيوس إلى أسفل برج القديس نيقولاس عبر البحر . ولقد عمل رجاله لإنشائه دون توقف بعد نهاية الهجوم الرئيسي الأول في العاشر من يونيو واستمر العمل فيه حتى الثامن عشر من نفس الشهر([١٤١]) وذلك في حضور الباشا الذي ساعد في العمل بنفسه . وما أن انتهى العمل في الجسر ثبت أحد الأتراك سرا بليل مرساة بسلسلة حديدية في صخرة البرج نفسها ، ومد سلك حديدي من المرساة حتى الجسر ، وبسحب السلك بقوة الذراع كان يمكن للجسر التحرك في كل مكان بجوار برج القديس نيقولاس([١٤٢]) .

لم تؤثر براعة الأتراك في تماسك المدافعين عن رودس ، فمبجرد اكتشاف مخططهم ألقى بحار إنجليزي خبير في السباحة يدعى روجر جرفيس **Roger Jervis** بنفسه في البحر بعد أن تراجع التركي ، وقام بقطع السلك من المرساة وحملها للمقدم ، تاركا السلك فوق الصخرة كما لو يزال مربوطا ، فكافأه المقدم في الحال بمائتي قطعة ذهبية . وعندما بدأ الأتراك في سحب السلك لتحريك الجسر للأمام أدركوا من فورهم أن حيلتهم قد كُشفت . بيد أن مسيح باشا باليولوجس الذي كان يشرف على المحاولة بنفسه لم يداخله اليأس ، واستعاض عن السلك بإرسال العديد من القوارب لجر الجسر فوق المياه ، ونقله أمام خندق البرج . وفي نفس الوقت أمر بمهاجمة البرج ، وسحق السفن الراسية في الميناء ، وعهد بتلك المهمة إلى ثلاثين شانية ، فضلا عن عدد من المراكب الخفيفة وضع فيها سبعة أو ثمانية مدافع ، وحملت خيرة رجال جيشه لتدمير البرج وأسوار

([141])Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Anonyme, op. cit., p. 116.

([142])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 147; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Jean Molinet , op. cit., p. 255. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 168; William Weir, op. cit., p. 163.

المدينة من بعده . وجرت خطة الباشا بهبوط صفوة الجند هؤلاء بواسطة القوارب إلى الشاطئ لقتال المدافعين عنه وجها لوجه ، في الوقت الذي يتم فيه إنزال بقية الجند والمدفعية بواسطة الجسر والشواني على الأرض بجوار برج القديس نيقولاس

عند هذا الحد عقد المقدم الأكبر مجلسا استشاريا من أكثر فرسانه حكمة وخبرة للرد على خطوة الأتراك ، فأسدوا إليه النصح بتقوية البرج بإحاطته بخنادق مائية . وعملا بالنصيحة ولكون المنطقة حول البرج مشكلة من الصخر والحصى استأجر المقدم الأكبر ألفا من ممهدي الأرض عملوا ليل نهار في قطع تلك الصخور لجعل الخندق المرتجى أعرض وأعمق . ولحماية البرج وضع بعض القوات عند الأجزاء الضعيفة والمدمرة منه من الهجوم الأول ، وزود حاميته بالقوات التي جلبها من فيرونا في بداية الحصار ، كما نشر فرقة من الفرسان الأسبان والألمان على حاجز الأمواج . ولأنه كان يتوقع قيام جزء من الجيش التركي بمهاجمة برج القديس

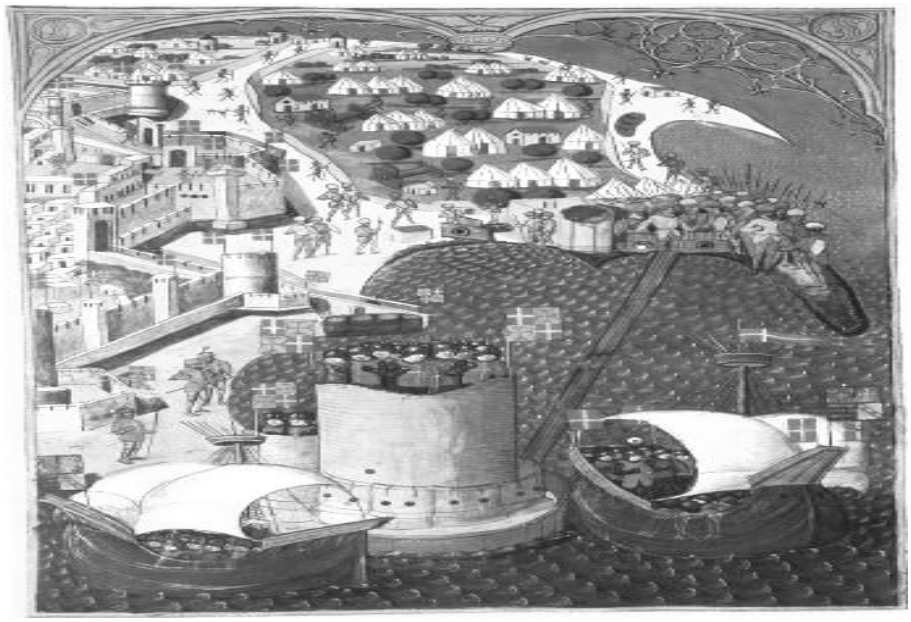

لوحة معاصرة تصور هجوم الأتراك على برج القديس نيقولاس بواسطة الجسر العائم

([143])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 147; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Jean Molinet , op. cit., p. 255. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 168-9; A. G. B. Schayes, op. cit., p. 113; William Weir, op. cit., p. 163; E. J. King, op. cit., pp. 64- 5.

نيقولاس في الوقت الذي يقوم فيه فريق آخر بمهاجمة أسوار المدينة ، وبخاصة الأجزاء المهدمة منها عند حائط اليهود وحائط الإيطاليين ، أرسل إلى هناك عددا لا بأس به من الفرسان للدفاع عن تلك المواقع . ولبث الحماسة في نفوس المدافعين عن البرج شرح لكل فرد واجبه الشخصي في الذوذ عنه ، وألا يقوم بأي تصرف دون تشاوره مع الآخرين ([١٤٤]).

بهذه الكيفية أتاح المقدم لجميع فرسانه وجنوده حرية الرأي ، إيمانا منه بأنه قد يكون لدى جندي بسيط إستراتيجية عسكرية لا يعلمها هو نفسه . وأقسم جميع الفرسان سواء من يتحدث منهم اللاتينية أو من يتكلم اليونانية على الحفاظ على برج القديس نيقولاس والحيلولة دون استيلاء الأتراك عليه . ومع ذلك كان المقدم حادا للغاية حين أمر بإعدام جنديين من حامية البرج لإلقائهما أسلحتهما وكميات كبيرة من الذخيرة في البحر فزعا من هجوم الأتراك . ونفذ الحكم فيهما بإلقائهما في البحر من شرفات البرج ، على الرغم من توسلاتهما تحت أقدامه ([١٤٥]) .

٦ــ هجوم الأتراك الرئيسي الثاني على رودس (١٦ أو ١٨ يونيو ١٤٨٠م):

حوالي منتصف ليل السادس عشر من يونيو كما يورد وليم كاروسا ، أو في الثامن عشر من يونيو كما جاء في رواية بيير بارباتر تحرك الأتراك برا وبحرا بهدوء على غير عادتهم ، فهبطوا على حاجز الأمواج واستولوا عليه ثم أطلقوا لحناجرهم العنان . وبالتوازي هاجمت مجموعة منتقاة منهم الأجزاء الأكثر تهدما في برج القديس نيقولاس ، وهم يحدثون أصوات عالية مخيفة تبعتها أصوات الطبول وآلات الحرب . فسارع

([144])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 147. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 170.

([145])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 148. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 171.

المدافعون عن رودس بتوزيع أنفسهم للقتال في كلا الموقعين بشكل متساو ، واستمرت النيران تتدفق من جانب لآخر طوال الليل (١٤٦) .

وفي وقت قصير اقتربت السفن التركية من صخرة برج القديس نيقولاس ، وتم تثبيت الجسر الخشبي فيها . وبمساعدة المراكب ذات الثلاث صواري **bark** ، هاجمت أعداد لا حصر لها من الأتراك الجزء المتهاوي من سور البرج . ولكن مقذوفات الفرسان الضخمة للغاية وسهامهم التي أطُلقوها عليهم كبحت المحاولة الأولى لغالبية الأتراك . ورد الفرسان المدافعون عن ذلك الجزء بقيتهم رغم قلة عددهم بالمقارنة بأعداد الأتراك . وخلال ذلك كان المقدم الأكبر يتنقل في كل مكان في البرج مشجعا فرسانه على الثبات . وما أن حمي وطيس المعركة ، قامت قطع المدفعية الثلاث التي وضعها المقدم الأكبر إزاء الجسر العائم بما كان متوقعا لها ، فتحول الجسر العائم إلى أشلاء تحت وطأة قذائف وأحجار فرسان رودس ، فضلا عن ثقل مدافع وأدوات الحصار التي وضعها الأتراك فوقه . ونتج عن ذلك غرق القوات التركية الموجودة فوقه ، دون أن تستطع السفن إنقاذهم ، أو يستطيعوا إنقاذ أنفسهم بالسباحة تحت وابل الحجارة والسهام التي كانت تطلقها المدفعية (١٤٧) .

---

(146)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 148; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p. 69. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 172; William Weir, op. cit., p. 163.

(147)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 148. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 173-4; Setton, Kenneth M., op. cit., vol.ii. p. 354; Franz Balinger, op. cit., p. 398.

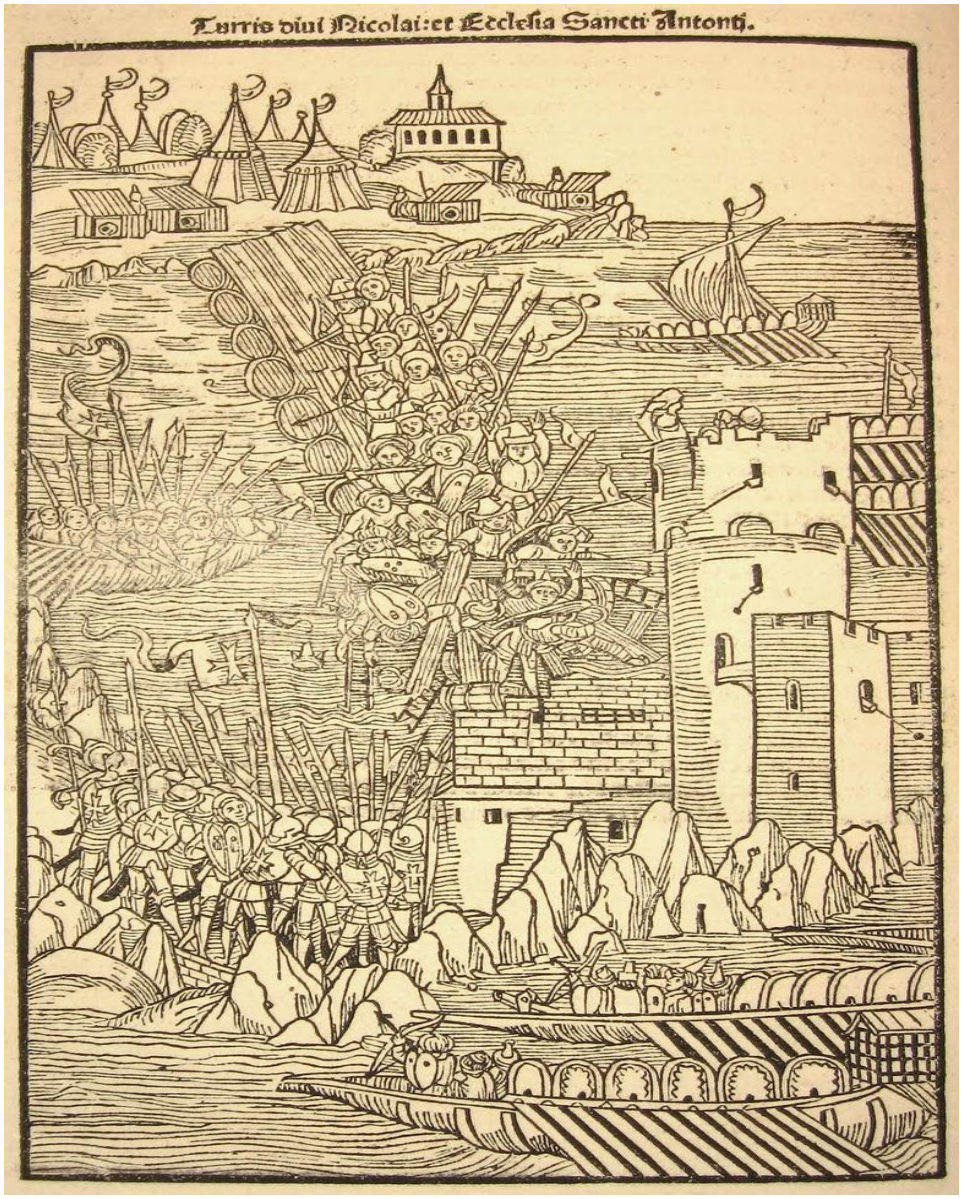

لوحة تصور هجوم الأتراك الثاني على برج القديس نيقولاس (طبعت١٤٩٦م)

لم تتوقف شواني الأتراك عن ضرب برج القديس نيقولاس . وواصلوا هجـــومهم برغم إدراكهم أن الجسر الخشبي قد تحطم ، وأن مهاجمة البرج بواسطته قد فشلت . وزاد من تصميمهم والرغبة في الانتقام نجاح المدافع المنطلقة من البرج في اغراق أربع شواني لهم

، وعدد من السفن الحربية من نوع قزق **cazekes** ، وكذلك احتراق بعض السفن الأخرى ، فضلا عن تحطيم أجزاء من البعض الآخر . وجاءت النتيجة مأساوية للأتراك ، فقد نشرت سفن النيران الخاصة بالفرسان الرعب والفوضى في الأسطول التركي . كما استولوا على تسع سفن من نوع **barques** وقتلوا كل من عليها ، بالإضافة لثلاثة من القادة .

أتت ترتيبات المقدم للدفاع عن البرج أكلها ؛ ففيما يتعلق بالقوات التي أنزلتها السفن والجسر العائم على الأرض قبل تدميره فقد ذُبح وأصيب الكثير منها ، مع أن الأتراك كانوا يطلقون القذائف والأحجار والنيران والسهام على المدينة وعلى البرج من الضفة الأخرى لتأمين قومهم والدفاع عن رفاقهم . وفيما يختص بالذين هاجموا حاجز الأمواج ، فمبجرد اقترابهم بقواربهم منه ، نزل المدافعون عن الحاجز في البحر حتى وصلت المياه لوسط أجسامهم ، وسحبوا الأتراك من قواربهم وقطعوا رؤوسهم ومزقوا أجسادهم ورموها في البحر . وبرغم هذا استمر الأتراك في هجومهم حوالي خمس ساعات من منتصف الليل وحتى الساعة الخامسة من فجر اليوم التالي ، وذلك في ظلام لم يكن يضيئه سوى النيران المتبادلة بين الطرفين . وسرعان ما كشفت شمس النهار عن مذبحة وقعت ليلا ([148]) .

فقد الجانبان أعدادا من الرجال في المعركة ، بيد أن خسارة الجانب التركي فيها كانت فادحة ، فقد كان من بين القتلى بعض القادة النبلاء أحدهم من أبناء عمومة السلطان محمد ، أو ابن زوجته على اختلاف الأقوال . وهو أمير صغير يسمى إبراهيم بك كان عزيزا على السلطان ، وأدت وفاته إلى حزنه عندما علم بذلك لاحقا. وكان هذا الأمير قد هاجم البرج ، وقتل عددا من الفرسان بيده ، ولكنه أصيب بعدها بعدة جروح أدت لسقوطه صريعا . وألهب مصرعه حماس الأتراك ، ونادوا بالإنتقام له والهجوم على البرج ، بيد أن الفرسان تصدوا لهم ، وأجبروهم على التراجع . وتسبب هذا التراجع

([148]) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 148; Jean Molinet, op. cit., pp. 256-7. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 174; Setton, Kenneth M., op. cit., vol.ii. p.354; William Weir, op. cit., p. 163.

المخزي إلى حزن مسيح باشا الذي عاد لمعسكره ، وأغلق عليه باب خيمته ثلاثة أيام دون التحدث لأحد من رجاله ([١٤٩]).

ويذكر جان مولينيه أنه لم يقتل من المدافعين عن رودس سوي أحد عشر أو إثنا عشر رجلا اثنين منهم فقط من الفرسان الإسبتارية ، بالإضافة للكثير من الجرحى . في الوقت الذي أشار فيه بيير باراتر إلى مقتل اثنين فقط ، فضلا عن القليل من الجرحي من المدافعين عن المدينة . في حين اتفقت روايات الإثنين ومعهما أحد الوثائق المعاصرة على مقتل ألفين وخمسمائة من الأتراك ، بالإضافة لأعداد ضخمة من الجرحى برغم ما أطلقوه ــ وفق ما جاء في رواية بيير باراتر ــ من قذائف وسهام بأعداد لا يمكن حصرها أدت لاشتعال برج القديس نيقولاس بالكامل . وإن كان بيير باراتر قد قدر القذائف المتبادلة بين الجانبين بأربع آلاف ([١٥٠]) . في حين يجعل وليم كاروسا قتلى الأتراك في تلك المعركة ثلاثة آلاف وخمسمائة ([١٥١]) دون الجرحى .

ونشرت الجثث التي تناثرت على اليابسة وشاطئ البحر وطفا بعضها فوق سطح البحر لمدة ثلاثة أيام التلوث في الجو . ولذا أمر بيير دوبسو جنوده بتنظيف الشاطئ والاعتناء بجثامين جنوده الذين أجرى لهم مراسم لدفنهم . كذلك اهتم بالجرحى من جنده ، وأخذ في زيارتهم ، ووزع عليهم بيده غنائم القتلى من أغنياء الترك . كما صلى المقدم وفرسانه صلاة شكر خاصة على النصر الذي منحه الله لهم على الأتراك في تلك المعركة التي لم يفقدوا خلالها سوى بضعة قتلى ، وبعض الجرحى على الرغم من القذف المتبادل بين الفريقين وقلة عدد الفرسان الإسبتارية الذين أُسند إليهم مهمة الدفاع عن البرج وحاجز الأمواج ([١٥٢]) .

([149])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 148. Cf. also: E. J. King, Op. cit., p. 64.
([150])Jean Molinet, op. cit., p. 258; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160. Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p. 69. Cf. also: E. J. King, op. cit., p. 64.
([151])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 148.
([152])Jean Molinet, op. cit., p. 258; Michael Herzfeld (ed.), Op. cit., p. 69. Cf. also: Dominique Bouhorus, Op. cit., pp. 175-6; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p.354.

ويذكر ماري دوبوي أن أحد الرهبان الفرانسيسكان **ung Cordelier de Saint Francoys** ممن كانوا يقفون على حاجز الأمواج لحمايته ما أن شاهد قوارب الأتراك تقترب منه حتى خاض بملابسه الماء حتى زناره ، وأخذ في سحب الواحد منهم تلو الآخر من قواربهم وقطع رؤوسهم أو تمزيقهم إربا ورميهم في البحر . إلا أن قدره انتهى بسقوطه جريحا ، وكافأه المقدم بعد شفائه بمنحه ثوبا جديدا ([١٥٣]) .

وجدير بالذكر أن الفرسان الإسبتارية أرجعوا هذا الانتصار إلى معجزة دينية. فحسب زعمهم إن الأتراك شاهدوا خلال الهجوم عددا كبيرا من المدافعين يرتدون ملابسا بيضاء ويصطفون في الجزء الأعلى من البرج ، ودخلوا في المعركة بروح عظيمة مع الأتراك ([١٥٤]) .

٧ ــ مقتل ثلاثمائة تركي في الرابع والعشرين من يونيو ١٤٨٠م:

ما أن انعقد النصر للفرسان الإسبتارية على هذا النحو ، أقام المقدم الأكبر وصفوة رجاله وغيرهم قداس شكر ليوحنا المعمدان في كنيسة العذراء المسماة سيدتنا سيدة فليرم **Notre Dame de Philerme**. وفي وقت مقارب جاء يوم الاحتفال بيوحنا المعمدان راعي مدينة رودس ، والذي وافق الرابع والعشرين من يونيو . وجرت عادة الفرسان في تلك المناسبة باشعال نيران ضخمة فوق كل أبراج ومباني المدينة ، وهو ما قد حدث بالفعل بشكل مبالغاً فيه ابتهاجا بهذا النصر . ولما لم يستطع الأتراك معرفة ما يدور داخل المدينة اقتربوا من الخندق المائي للاستطلاع . وانتهز المقدم الفرصة فأمر رجاله بحشو جميع المدافع صغيرها وكبيرها بالبارود وإطلاقها في نفس الوقت عليهم ، فقتلوا منهم ثلاثمائة ([١٥٥]) .

أما الأتراك فقد حثهم مشهد جثثهم الملقاة على الأرض والطافية على سطح البحر ، وحطام جسرهم العائم وبقايا سفنهم على إعادة ترتيب أوضاعهم لعلهم ينجحوا مستقبلا في تحقيق ما فشلوا فيه حتى تلك المرحلة أمام استماتة الفرسان الإسبتارية في

([153])Mary Dupuis, op. cit., p. 608.
([154]) Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p. 69.
([155])Jean Molinet, op. cit., pp. 258- 9.

الدفاع عن معقلهم ، في حين دفع هذا الانتصار الإسبتارية للتمسك بمكاسبهم . وهكذا بات على الفريقين الاستعداد لخوض جولة جديدة من القتال ، كل للظفر بحكم رودس .

خامسا ــ المرحلة الثالثة من الحصار التركي لرودس (٢٥ يونيو – ٢٨ يوليو ١٤٨٠م):

١ ــ تخطيط الأتراك لدخول رودس بمهاجمتها من عدة جهات:

انتهت الهجمتان التركيتان الرئيسيتان دون حصول مسيح باشا على موطأ قدم له داخل مدينة رودس . وظهر الباشا مرة أخرى أمام شاطئ المدينة بعد أن أبعد عن خاطره فكرة مهاجمة برج القديس نيقولاس على الرغم من تدمير الجانب الغربي له ([١٥٦]) . وباتت الفكرة التي تسلطت عليه يومها هي سحق المدينة بتوزيع القوات المحاصرة عليها ، وإمكانية الاستيلاء عليها بمهاجمة العديد من أحيائها في نفس الوقت . وأنه ما أن تقع الأسوار في تلك المواقع بواسطة هجوم عام ، كما وقعت في حي اليهود ومن قبل في مركز الايطاليين سوف ينجح في دخول المدينة التي لا مناص من أنها ستستسلم له آنذاك عندما لن تصبح قادرة على المقاومة . وشجع مسيح باشا على هذا التفكير أن الأتراك كانوا قد أحدثوا حتى تلك اللحظة دماراً عظيماً في أسوار المدينة بقاذفاتهم ومدافعهم ([١٥٧]) .

أصبح هدف الأتراك في تلك المرحلة دخول المدينة والقتال المباشر مع المدافعين عنها رجلا لرجل ، ولتحقيق ذلك رتبوا لأنفسهم أن يشقوا طريقا إلى الأسوار عبر أنفاق غطوها بألواح خشبية ، وأهالوا عليها التراب حتى لا يكتشفها حرس المدينة ليتمكنوا من إيصال رجالهم في أمان إلى الخندق المائي المحيط بالأسوار . وللتغطية على عملية الحفر ، أقاموا بالتوازي منصات مدعومة ومحمية بحواجز وأحجار وأغصان الأشجار ، ووضعوا

([156])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 149; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160. Cf. also: Helen J. Nicholson, op. cit., p. 62.

([157])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 149. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 177.

فوقها قاذفات وزعوها بالتساوي قبالة الأسوار والأبراج ، ولقد أخذت تطلق مقـــذوفاتها وأحجارها دون توقف . وكان القذف بقوة لم يجرؤ معها أحدُ على الخروج والنظر مـــن فوق أسوار المدينة لمواقع مدفعية الأتراك (١٥٨) .

٢ ــ مهاجمة الأتراك لسور حي اليهود جنوب شرق المدينة:

وبالفعل بعد أن أصبح الأتراك داخل الخندق المائي عبر الأنفاق الـــتي حفروهـــا أسفله، عمدوا إلى ملء الخندق بالأشجار والأحجار التي أسقطتها المدفعية مـــن الســـور ليشكلوا منها منحدرا متصاعدا مساويا في الارتفاع لسورالمدينة ، وأصبح مـــن الســـهل عليهم ارتقاء السور والالتحام المباشر مع المدافعين عن المدينة (١٥٩) .

ولقد عمد الأتراك بالدرجة الأولى في هذه المرحلة من الحصار إلى مهاجمة ســـور اليهود الذي يحمي الجانب الجنوبي الشرقي من المدينة فأحدثت مدفعيتهم تدميرا بالغا بـــه وأسقطته حتى أساسه ، وساعد على ذلك تميز الأرض الواقعة خارج الخندق الجاف الممتد حول هذا الجانب بكونها أكثر ارتفاعا من السور نفسه (١٦٠) .

هال المقدم مدي ما ألحقته مدفعية الأتراك من دمار بالمدينة ، والخطر الذي بـــات يتهددها ، فجمع كل فرسانه وقادة حربه والمدافعين عنها مـــن اللاتـــين واليونـــانيين ، وصارحهم بأن ضربات الأتراك المتلاحقة على المدينة وشجاعة وجسارة الأتراك تعـــرض المدينة لمحنة واختبار قاسيين . وكما يقول وليم كاورسا وبعد أن عرض عليهم بيير دوبسو وضع المدينة ، أقسموا جميعا على الدفاع عن رودس والحفاظ عليها أو المـــوت بجســـارة دونها (١٦١).

---

(158)Guillaume Caoursin, op. cit., p. 149; Jean Molinet, op. cit., p. 258; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Santo Brasca, op. cit., p. 122; Anonyme, op. cit., p. 108. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 178

(159) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 149; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Santo Brasca, op. cit., pp. 122 - 3.

(160)Helen J. Nicholson, op. cit., p. 62.

(161) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 150.

وجد المقدم الذي كان يقود رجاله ضد الهجوم أن المدفعية الرئيسية بالمدينة تفعل القليل ، وأن الأتراك يتقدمون ساعة بعد أخرى دون أن يَلحقهم أذى كبير . وكان المقدم الأكبر قد أمر بصنع منجنيق غير عادي من الخشب كان باستطاعته قذف حجرين ثقيلين للغاية لمسافات بعيدة جدا ، وجاء ذلك نزولا على رأي خبير يوناني في حصار المدن ، أو اعتمادا على خبرة بحار أسباني من إقليم الباسك اسمه خوان أنيبوا **Juan Aniboa** في تشييد وتشغيل نوعا مميزا من المنجنيقات . وأطلق المدافعون عن رودس على هذا المنجنيق اسم الجزية ، لأنه صُنع في الوقت الذي طلب فيه السلطان محمد جزية من الفرسان . ورأى المقدم أن هذا الظرف هو الوقت المناسب لاستخدامه ضد الأتراك ، فوضعه قبالة المكان الذي يحتشد فيه العدد الأكبر من الأتراك ، ليستخدمه الفرسان في إلقاء الكثير من الأحجار وقطع الرخام الضخمة عليهم فسحقت العديد منهم . كما تحطمت في أحيان أخرى فوق أنفاقهم المغطاة ، فحصدت أرواح الكثير منهم في باطن الأرض ، فطُمروا في حطام ما حفروه بأيديهم. واستمر المنجنيق في إلقاء الحجارة بأعداد لا تحصى لبضعة أيام ، دامت خلالها معاناة الأتراك ، إذ دمر هذا المنجنيق الكثير من مدافعهم وخيامهم ومواضعهم وسواها بالأرض ([١٦٢]) .

وكلما عمل هذا المنجنيق وتطايرت أحجاره ، كان أهل رودس يصيحون هذه هي جزية محمد . واستغل المقدم حماسة جنده وطلب منهم تنظيف الخندق المائي الذي ملأه الأتراك . وأطاع الجند مقدمهم بابتهاج وحفروا فجوة في الأرض نفذوا منها تحت الأسوار إلى الخندق المائي لكي لا يعرضوا أنفسهم لقذف الأتراك ، وشيئا فشيئا سحبوا كل الأحجار والرديم من الخندق المائي إلى داخل المدينة ، وذلك في وجود المقدم الذي حضر خلال كل هذا العمل لتشجيع عماله ([١٦٣]) .

وعندما وجد المقدم جزءا من حائط اليهود الذي ضربه الأتراك بالمدافع على وشك السقوط ، أزاله بكل سرعة ورفع مكانه حائطا جديدا . كما أمر المقدم الأكبر

([162])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 150. Cf. also: Eric Brockman, op. cit., p. 83.
([163])Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 150-1; Jean Molinet , op. cit., pp. 258-9. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 180; Charles Le Beau, op. cit ., p. 432 ; Setton, Kenneth M., op. cit., vol.ii, pp.354-357.

المدافعين عن رودس باستخدام أحجار الصوان الضخمة ، وقطع الحديد القديمة ، وأجولة الكبريت والبارود ، ومراجل الزيت المغلى ، وأي شئ آخر متاح لإيقاف الأتراك عن استهداف هذا الموضع ، وكان تعاون اللاتين واليونان عند هذا الخطب مثيرا للدهشة . وبموازاة ذلك إمتلأت كنائس المدينة بالرجال والنساء والأطفال للصلاة والاعتراف بخطاياهم فقد كانوا يتوقعون الموت لحظة بعد الأخرى ([١٦٤]).

وذات يوم اصطحب المقدم المهندس الألماني السيد جورج إلى الأسوار ليريه ما تفعله المدفعية التركية بالأسوار والمدينة ، ومدى اقترابهم منها ، وطلب منه إرشاده إلى أية اختراعات يفكر فيها لصد الأتراك ، وأية أسلوب حربي جديد يمكن به تقوية المدافعين عن المدينة . ويبدو أن الألماني فوجئ بهذه الأسئلة ، وأجابه بأنه لا يمكن لأي سور الصمود أمام مدفعية الأتراك ، وبأن المدينة في خطر محدق ، ووعده بالرغم من هذا بالنظر في الأمر، واستخدام كل أسرار فنه لتأمين المكان. ولكن ولأنه كان بالفعل مشتبها فيه ، ولأن المدفع الذي أقامه للمقدم الأكبر لم يكن له أي تأثير ، عادت الشبهات تحوم حول إخلاصه . وزاد في انعدام الثقة فيه قيام الأتراك بمحاولة لإضعاف الثقة فيه في المدينة عبر إطلاق سهام محملة بخطابات مكتوب فيها أن المهندس الألماني نذلا ليس بأهل للثقة ، اعتقاداً منهم أنهم بهذه الطريقة يجعلون أهل رودس يثقون به أكثر . وبعد ضغط المقدم عليه اعترف المهندس بخدمته للأتراك منذ فترة طويلة ، وحصوله على عطايا كثيرة منهم بخيانة العديد من المدن بطرق مختلفة ، وأنه ما جاء إلى مدينة رودس إلا بغرض تقصي وضعها ليخبر الأتراك به ليتسنى لهم دخولها ، وذلك طمعا في وعود الأتراك له بمنحه عطايا غير مسبوقة . وجاء الاعتراف كافيا لكي يأمر المقدم بقتله ، ولكنه استبقاه فترة من الوقت لاستخلاص المزيد مما بحوزته من معلومات عن الأتراك ، ثم أمر بعد ذلك بإعدامه شنقا في سوق المدينة بتهمة خيانة المسيحية والتخطيط لقتل الكثير من النبلاء والفرسان مما نشر السرور بين أهل المدينة وشجعهم . ولقد أوصل المقدم الأكبر خبر إعدامه لمعسكر

([164])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 151; Santo Brasca, op. cit., p. 123.

الأتراك في التو بنفس طريقتهم ، بإلقاء خطاب في سهم على معسكرهم أعلن لهـــم فيـــه سقوط جواسيسهم في رودس (١٦٥) .

٣ ــ دعوة مسيح باشا لأهل رودس اليونانيين للاستسلام:

أحبط هذا الخبر مسيح باشا للغاية ، ولكنه لجأ مع ذلك لخطة جديدة حاول فيها إحداث فتنة بين أهل المدينة من اليونانيين وحكامها من اللاتين ، حيث ألقى عدة خطابات في المدينة أخبر فيها سكانها أن السلطان محمد لا ينوي أي أذى للمدينة ، وهو يريد فقط تدمير الفرسان الإسبتارية ورجال الحرب داخل المدينة ، وأن غرضه من هـــذه الحـــرب تخليصهم من حكومة غير عادلة بصفتهم يونانيين ، ولذا عليهم أن يسلموا هؤلاء اللاتين إلى البلاط التركي . ووعدهم في حال قاموا بذلك باستعادة أراضيهم وممتلكاتهم وتـــأمين أرواحهم وحرياتهم . في حين هددهم في حال رفضهم تسليم المدينة بقطع رقابهم جميعـــا بالسيف مثل الفرسان الإسبتارية حالما يصل المدد وعلى رأسه السلطان محمد الذي يتجه للجزيرة بكل سرعة . وبدورها لم تأت هذه المحاولة أكلها ، إذ لم يعر المقـــدم وفرســـان الإسبتارية تلك الخطابات أدنى اهتمام ، فقد كانوا يعيشون في وئام مع أهل رودس الذين أعلنوا بدورهم ولاءهم للمقدم الأكبر واستعدادهم للموت معه دفاعا عن جزيرتهم(١٦٦).

وفي أحد الأيام أحضر الأتراك فارسا من الإسبتارية كان قد وقع في أسرهم وقتلوه عند خندق المدينة على مرأى من أهلها . فرد المقدم عليهم بإحضار خمسة أتراك ممن كانوا في أسر الجماعة وألقاهم من فوق أسوار المدينة على مشهد من الأتراك ، وهـــو يرســـل تهديداته بقتل اثنين منهم مقابل قتل أي مسيحي انتقاما من فعلتهم (١٦٧).

---

(165)Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 151-2; Jean Molinet, op. cit., pp. 259-60. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 183; Franz Balinger, op. cit., p. 398.
(166) Guillaume Caoursin, op. cit., p. 152; Jean Molinet, op. cit., p. 260. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 184 ; Setton, Kenneth M., Op. cit., vol. ii. p .357.
(167)Jean Molinet, op. cit., p. 260.

٤ ــ مطالبة مسيح باشا للفرسان الإسبتارية بالاستسلام :

عندما أدرك مسيح باشا فشل محاولته مع أهل رودس اليونانيين ، أرسل يونانيا متحول للإسلام ليلا إلى جوار كنيسة يونانية تقع بالقرب من خندق المدينة ، ليصيح بصوت مرتفع لإخبار الفرسان برغبة قائد الجيش التركي في إرسال سفير ، ويطلب الأمان له للمجئ للمدينة . وجاءه الرد بأنه ليس هناك ما يدعو لخشية السفير من المجئ إليها ، ولكن يجب عليه القدوم لخندق سور اليهود ، حيث سيجد فارسا في حصن السور ليعطيه رد المقدم الذي لم يرد مقابلة أو مناقشة هذا السفير . ولم يكن هذا الفارس سوى أنطوان جوتييه **Antoine Gaulthier** قسطلان المدينة ([١٦٨]) .

لوحة معاصرة تصور محادثة بين سفير تركي وأحد فرسان الإسبتارية (نشرت١٤٩٦م)

([168])Guillaume Caoursin, op. cit., p. 152.

وفي صباح اليوم التالي تقدم للحصن رجل يسمى سليمان بك ألقى التحية على الفارس الذي عهد المقدم إليه بالاستماع له ؛ فطلب منه الإفصاح عن سبب قدومه ، فأخبره أنه من الأفضل للمدينة الاستسلام للجيش التركي ، فقد استسلمت قبلهم مدن أكبر وأكثر قوة . وأنهم إن استسلموا فسوف ينظم مسيح باشا عملية استسلامهم مع السلطان محمد . أما في حالة رفضهم ، فسيؤدي ذلك لإحداث مذبحة في أهالي المدينة ، ولحاق العار بنسائهم . ورد قسطلان المدينة على السفير ، بأنهم لا يخشوهم سواء كانوا من اللاتين أو اليونانيين رغم ما قدموا به من قوة بشرية ومعدات وأسلحة حصار ، وأن سلطان مصر سوف يقدم لمساعدتهم ، لأنه لن يترك رودس تقع في أيدي الأتراك . وأضاف أن أهل رودس من اليونانيين واللاتين تعاهدوا على الموت دفاعا عن المسيحية على ألا يصبحوا أتباعا للسلطان التركي . واختتم أنه إذا أراد الأتراك الصلح معهم فعليهم فك حصار الجزيرة والعودة لإسطنبول ، ثم يرسل السلطان محمد سفيرا من قبله لطلب الصلح ، وعندئذ سوف يتشاور أهل وفرسان رودس في هذا العرض ويعطون ردهم عليه ([١٦٩]) .

٥ ــ عودة الأتراك لمهاجمة حي اليهود وأبراج السور المجاورة:

عندما سمع السفير هذه الإجابة طأطأ رأسه ، وعاد للباشا الذي أحبطته سماعها ، مما جعله يأمر بالعودة لمهاجمة المدينة من جانب حي اليهود وأبراج السور المجاورة ، وخصص لهذا الغرض ثمانية مدافع ضخمة ، في الوقت الذي استمرت فيه آلات الحصار تضرب المدينة ليل نهار دون توقف . وفي وقت قصير أُلقيت ثلاث آلاف وخمسمائة قذيفة على الأبراج والأسوار في تلك المنطقة فسقطت تقريبا حتى الأرض . وكان على المقدم مواجهة الموقف فأخذ يتنقل هنا وهناك مشجعا أهالي المدينة والجنود على المقاومة ، كما وضع أقوى فرق الفرسان الإسبتارية والسادة الفرنسيين المتطوعين التابعين لبلاط مونتوي في رودس تحت

([169])Guillaume Caoursin, op. cit., pp. 152-3; Jean Molinet, op. cit., pp. 262-3. Cf. Also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 185-9; Franz Balinger, op. cit., p. 398.

قيادته ، وتمركز جميعهم في حي اليهود أضعف أماكن المدينة يومها . ولتقوية النفوس ذهب للصلاة ، وأمر بإقامة الصلوات في كافة كنائس المدينة ([170]) .

أما على الجانب الآخر ، فقد أمر الباشا جنوده في حال اقتحامهم للمدينة بإعمال السيف في كل أهلها عدا الأطفال الذين وجب عليهم الاحتفاظ بهم لأنفسهم ولكبار القادة العسكريين ، كما أعطاهم مطلق الحرية في سلب المدينة([171]) .

٦ــ بداية الهجوم الثالث الرئيسي على المدينة ، وصراع الفريقين للسيطرة على أسوارها (حوالي ٢٧ يوليو ١٤٨٠م)

استخدم الفريقان الفترة التي أعقبت الهجوم الرئيسي الثاني على رودس وتحديدا مابين التاسع عشر من يونيو والسادس والعشرين من يوليو ما بين الإعداد للدفاع والهجوم . وفي السادس والعشرين وفق رواية جان مولينيه ([172])، أو السابع والعشرين مثلما يورد بيير باراباتر ([173]) أو الثامن والعشرين من يوليو في روايات أخرى ، وبعد شروق الشمس بساعة وبينما كان أهل رودس يؤدون قداسا ، أطلقت قطعة مدفعية الإشارة بهجوم ثالث رئيسي وأخير للأتراك على المدينة . وفي حين كانت مدفعية الأتراك تقصف بتركيز أسوار المدينة ولاسيما الجزء الملاصق منها لحي اليهود ، انطلق أربعون ألفا من الجيش التركي وهم يرددون صيحات التكبير لمهاجمة المدينة من كل جانب ، وتركز الهجوم الرئيسي على سور اليهود . ولتسلق أسوار المدينة استخدم الأتراك مائتي سلم ، كما ردموا خندق المدينة ببقايا السور الذي سوي بالأرض ، والتي ملأت ثانية الخندق المائي بدرجة أتاحت لنحو ألفين وخمسمائة من الإنكشارية الصعود بسهولة فوق أسوار المدينة ، وذبح غالبية حراسها ([174]).

([170])Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 190-1; Franz Balinger, op. cit., p. 398.
([171])Dominique Bouhorus, op. cit., p. 192 ; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 357.
([172])Jean Molinet, op. cit., p. 263.
([173])Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p. 69. Cf. also: Marcello Maria Marrocco Trischitta, op. cit., p. 14; E. J. King, op. cit., p. 65.
([174])Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Santo Brasca, op. cit., p. 122. Cf. also: Franz Balinger, op. cit., p. 398.

استغل الأتراك هذا النجاح لدفع بقية حراس الأسوار للتراجع ، ونجحوا في الإحاطة ببرج إيطاليا ([١٧٥]) والاستيلاء على أحد الأبراج ، ورفعوا سبعة من بيارقهم فوق الأسوار . وأعلنت الطبول الحزينة ما حدث لمن بداخل المدينة فاندفع الفرسان الإسبتارية وأهل المدينة بأسلحتهم لذلك الجزء من أسوار المدينة وحاولوا صعوده، ولكن مدفعية الأتراك أجبرتهم على التراجع . ورد المدافعون عن المدينة بالعديد من المحاولات لإبعاد الأتراك عن أسوار المدينة ، حيث اعتلوا جبلا مواجها للسور وأخذوا في قذف الأتراك لإجبارهم على التخلي عنه ، وبادلهم الأتراك القذف بالأحجار والرماح . ولقد أدى تماسك المدافعين عن المدينة إلى نجاحهم في إسقاط الكثير من الأتراك من فوق الأسوار فقتلوا وتناثرت أشلاء جثثهم . الأمر الذي مكن طلائع الفرسان والجنود الذين صعدوا الأسوار من الداخل بواسطة السلالم التصدي لمن تبقى من الأتراك وإجبارهم على التراجع . وفي المقابل تلقى الأتراك المزيد من القوات ، ودخل الفريقان في قتال عنيف لفرض سيطرتهم على السور ([١٧٦]).

لوحة معاصرة تصور المعركة بين الأتراك والمدافعين عن رودس عند برج إيطاليا

([175])Marcello Maria Marrocco Trischitta, op. cit., p. 14.

([176])Pierre Barbatre, op. cit., p. 160; Jean Molinet, op. cit., pp. 264-5; Santo Brasca, op. cit., p. 123. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 193; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. pp. 357- 8; Marcello Maria Marrocco Trischitta, p. 14.

٧ ــ دور بيير دوبسو في إنقاذ رودس من السقوط :

حميت المعركة ، ولاح النصر في جانب الأتراك ، إذ لم يستطع كونت مونتوي وقف هذا العدد الكبير من الأتراك بقيادة الباشا من اقتحام المدينة . وانتشر في المدينة أن حي اليهود سقط في يد الأتراك مما أثار الرعب في نفوس أهلها . وأدرك المقدم أن سقوط الجزيرة كلها بات متوقفا على سقوط حي اليهود ، فانطلق لاستعادته . حيث اندفع المقدم ومن حوله العديد من القادة والفرسان صاعدا السور ، وثبت عليه راية تحمل رسوما للسيدة العذراء ويوحنا المعمدان ، ومشهد صلب المسيح لبث الحماسة ورفع الروح المعنوية لجنده . ثم انقض المقدم على الأتراك غاضبا في قتال لافت للنظر تمكن فيه من قتل مجموعة منهم ، مما جعل بقيتهم يتراجعون أمامه . وبمجرد مشاهدة رجال المدينة ذلك أسرعوا لعون المقدم أو الموت معه . وسارعت النساء كذلك بالتوجه للأسوار لمساعدة أزواجهن ، حيث أخذن في صب الزيت المغلي ، ورمي الأحجار وقطع الحديد القديمة على الأتراك . في حين أخذ بعضهن الآخر في قذفهم بالنيران ، والبعض الثالث في جمع أسلحة قتلى الأتراك. ومن ناحية أخرى قام رماة السهام ورجال المدفعية الذين وزعهم المقدم في عدة أجزاء من السور بقذف الأتراك الذين جاءوا لرفد زملائهم ، مما سبب سقوطهم بأعداد كبيرة ([١٧٧]) .

داوم المقدم على حث الفرسان وأهل رودس للاستمرار في المعركة مما شجعهم على استعادة زمامها بعد ساعتين . وكان الفارس دو مونتولون **de Montholon** أول من يلقي أعلام الأتراك من فوق سور المدينة على الأرض . وردا على ذلك أرسل مسيح باشا أعداداً أخرى نشطة من الجند لمهاجمة المدافعين عن رودس ، ولاسيما المقدم وأخيه . وما أن رآهم فيكونت مونتوي قادمين اندفع نحوهم ومعه جند مركز أوفيرني . وفي نفس الوقت انقض إثنا عشر تركيا على المقدم فأصابوه بخمسة جروح ، وإن كان بيير باراباتر قدرهم بجرحين أو ثلاثة . وما أن رأى فرسانه ذلك قدموا لإنقاذه من بين أيديهم ،

([177])Jean Molinet, op. cit., p. 265. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 194-5; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii., p. 358.

وأجبروهم على الإنفضاض من حوله ، بعد أن قُتل منهم بـــايلي ألمانيـــا **le bailiff d`allemaigne**، وأحد عشر فارسا ([178]) .

٨ ــ اقتحام الأتراك لحي اليهود برودس :

واجه الأتراك الذين هاجموا مواضع فرسان الأمم الأوروبية الأخـــرى في أســـوار رودس في نفس الوقت مقاومة مماثلة . غير أنهم عندما رأوا حائط اليهود يسقط تركـــوا أماكنهم دون نظام ــ باستثناء ثلاثمائة منهم استمروا في مهاجمة الأسوار ــ ودخلوا المدينة من ناحية حي اليهود . ولكنهم لم يصمدوا إزاء هجمات أهل المدينة الذين اندفعوا نحوهم في حشود لاحقتهم حتى معسكرهم ، وذبحوا منهم دون الجرحى حـــوالي ثلاثـــة آلاف وخمسمائة في أقل الأعداد تقديرا ، وستة ألاف في أكثر الروايات تقديرا . في حين وكما يسجل بيير باراباتر والحاج الفرنسي المجهول لسنة ١٤٨٠م أنه لم يلق حتفه من الفرسان الإسبتارية المدافعين عن أسوار المدينة سوى إثنا عشر فارسا ، حدد بيير باراباتر بايلي ألمانيا من بينهم . في الوقت الذي فقد فيه الفرسان في معركة حي اليهود كما يذكر دو كوريتي عشرين من رجالهم بينهم عشرة من الفرسان. أما بيير باراباتر فيورد أنه قتل في معركة حي اليهود حوالي ثلاثين ما بين علماني وفارس من فرسان الإسبتارية ، فضلا عن العديد مـــن الجرحى الذين شفيوا جميعا وفق ما ذكره بيير باراباتر . في الوقت الذي يجعلهم فيه جـــان مولينييه أربعين قتيلا بينهم ستة عشر فارسا . ويبقى القول إن الخسائر الفادحة التي لحقت بالأتراك في موقعة حي اليهود اضطرهم للتراجع بقيادة مسيح باشا إلى الشاطئ ليكونـــوا بجوار سفنهم ([179]) .

([178]) Anonyme, op. cit., p. 107; Pierre Barbatre, op. cit., p. 160 . Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 196-7; E. J. King, op. cit., p. 65.

([179])Pierre Barbatre, op. cit., p. 161; Jean Molinet, op. cit., p. 267. Cf. also: Eric Brockman, op. cit., p. 89; Joshua Starr, op. cit., p. 86; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii. p. 358.

لوحة تصور المعركة داخل رودس بين الأتراك والمدافعين عنها (طبعت ١٤٩٦م)

٩ــ روايات المصادر عن معركة حي اليهود :

حري بالذكر في هذا المقام ما أورده الرحالة الفرنسي بيير باراتر عن مشاهدته في يوم الأربعاء الثالث عشر من سبتمبر سنة ١٤٨٠م لتسع أو عشر جثث للأتراك كانت لا تزال متناثرة في طريق البحر أمام حي اليهود والخندق المحيط بسور المدينة في هذا الجانب ، فضلا عن أجزاء بشرية كرؤوس وأرجل وأذرع في الخنادق المحيطة بالمدينة بعد كل هذه

الفترة من انتهاء موقعة حي اليهود التي كانت آخر المعارك الكبرى التي خاضها الأتراك في ذلك الحصار([180]) .

في حين يسجل الرحالة اليهودي الإيطالي ميشولم بن ميناحيم أوف فولتيرا الـــذي وصل لمدينة رودس في الرابع من مايو سنة ١٤٨١م رؤياه لآثار ذلك الحصار وبخاصـــة الدمار الكبير الذي لحق بحي اليهود بقوله : " ولقد رأيت كيف دمر التـــرك المدينـــة ، وخصوصا حي اليهود إلى اليسار ، حيث وقع القتال الرئيسي في تلك المنطقة . إذ دمر الترك كل منازلها ، كمنزل السيد جالون رودوس ومنزل الطبيب آزاريـــا **Azariah** ومنازل أخرى ، كما أسقطوا الأسوار المجاورة للمعبد . فيوما ما وكما قيل لي ، تســـلق أكثر من عشرة آلاف تركي الأسوار ، وألقوا المقدم الأكبر مـــن فوقهـــا . ولكـــن الله أخزاهم، فقد أثر كل رجل في نفس أخيه وقريبه حتى أفشلت قلوبهم الأتراك ، وذلـــك بفضل مساعدة الرب لأهل المدينة . ولقد قاموا الآن ببناء أسوار جديدة ، وجددوا إعمار كل المدينة بشكل يجعلها أجمل من أي مدينة شاهدتها . كذلك أنشأوا خنـــدقين مـــائيين أسفل السور ، واحد منهم على كل جانب ، فضلا عن معبد في المكان الذي حدثت فيه المعجزة . وكان المسيحيون قد توسلوا للمقدم ليزيل المعبد ، ولكنه رفـــض لأن حـــارس إسرائيل لا ينام ولا يهجع " ([181]) .

وجاءت رواية الرحالة الإيطالي عوباديا جاريه دا بيرتينورو الذي زار الجزيرة سنة ١٤٨٧م على نحو مخالف لرواية ميشولم بن ميناحيم فيما يتعلق بمعبد اليهود حيث وقعت المعركة النهائية بين الأتراك ومدافعي رودس بقوله : " ولقد دمرت تقريبا معظم منـــازل يهود رودس منذ فترة قريبة نتيجة لحصار الأتراك للجزيرة بأمر من إمبراطـــورهم الأول الذي توفي في نفس عام الحصار ، والذي لم يشاهد رودس بأســـوارها القويـــة المرتفعـــة وبواباتها الصلبة وشرفاتها المنفرجة . ففي عام موته أرسل السلطان التركي جيشا حاصـــر المدينة وقذفها بكميات كبيرة من الأحجار لا تزال تُرى حتى الوقت الحـــالي ، وبتلـــك الطريقة أسقطوا أسوارها المحيطة بشارع اليهود ، ودمروا المنازل . ولقد أخـــبرني يهـــود

([180]) Pierre Barbatre, op. cit., pp. 158-9.
([181]) Meshullam Ben R. Menahem of Volterra, op. cit., pp. 156-7.

المدينة أنه عندما دخل الأتراك إلى المدينة أخذوا في قتل كل من كان أمامهم حتى وصلوا إلى باب المعبد اليهودي ، وهناك نشر الله الاضطراب بينهم ، فهربوا في الحال . ونظـــراً لتلك المعجزة بني الحاكم كنيسة في تلك البقعة ، وأعطى اليهود مبنى آخر بدلا منـــها . وبينما كنت في رودس منح الحاكم اليهود مائة دوكات من دخل المدينـــة لبنـــاء معبـــد جديد"([١٨٢]).

١٠ــ الخسائر البشرية للحصار ونهايته :

أيا كان الأمر يئس الباشا في ظل هذه الإخفاقات من الاستيلاء على المدينة بعـــد تلك الهجمات القوية التي ضرب خلالها المدينة بما لا يقل عن ثلاثة آلاف وخمسمائة حجر أحالت الكثير من أسوارها لأكوام من الحطام ([١٨٣]) . ومع ذلك بلغت خسائر جيشـــه خلال الحصار بأكمله نحو تسعة آلاف قتيل في رواية ([١٨٤]) ، واثنى عشر ألف قتيـــل في مصنف سانتو براسكا ([١٨٥]) وما بين إثنى عشر ألف قتيلا وخمسة عشر ألف قتيلا ، ومـــا يتراوح بين أربعة عشر ألف وثلاثين ألف جريح في رواية بيير باراباتر ([١٨٦]) .

واختلفت الروايات كذلك في عدد القتلى من جانب المدافعين عن الجزيرة . فقد حددهم بيير باراباتر في روايته بحوالي مائة ، كان نصيب الفرسان منها خمس وعشرين أو ست وعشرين قتيلا ([١٨٧]) ، في الوقت الذي عد فيه الإيطالي سانتو براسكا قتلى الجزيرة بمائتين ، أما الجرحى منهم فكانوا حوالي خمسمائة جريحا ([١٨٨]) .

وتذهب إحدى الدراسات الإنجليزية الحديثة المهتمة بـــدور الإنجليـــز في جماعـــة الإسبتارية إلى أن خسائر المدافعين عن المدينة بلغت نحو مائتي وإحدى وثلاثـــين قتـــيلا . وعلى الرغم من عدم حديث المصادر عن دور فرسان الفرقة الإنجليزية في الدفاع عـــن

([182])Obadiah Jaré da Bertinoro, op. cit., pp. 216-7.
([183])Marcello Maria Marrocco Trischitta, op. cit., p. 14.
([184]) Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p.70.
([185]) Santo Brasca, op. cit., 123.
([186])Pierre Barbatre, op. cit., p. 161. Cf. also: E. J. King, op. cit., p. 65.
([187])Pierre Barbatre, op. cit., p. 161.
([188])Santo Brasca, op. cit., 123.

المدينة إلا أنه يبدو من خسائرها أنها قامت بدور بارز في هذا الأمر ، كانت عاقبته وقوع سبعة قتلى ومثلهم من الجرحى في صفوفها التي لم تتعد ثمانية وعشرين فارسا ([189]) .

وجدير بالذكر في هذا المقام ما سجله لنا ــ اعتمادا على سجلات الجماعة ــ المؤرخ الفرنسي رئيس الدير الأب رينيه أوبير دو فيرتو في مؤلفه عن أخوان الإسبتارية لأسماء خمسة عشر من قادة الأخوان الإسبتارية ممن قتلوا دفاعا عن رودس ، وتنوعت جنسياتهم ما بين فرنسيين وإيطاليين وأسبان ([190]) .

وبحسب أحد الدراسات الحديثة ، ذهب مؤرخ تركي في القرن السادس عشر إلى القول بإن الأتراك تراجعوا عن رودس بعد أن منعهم مسيح باشا من نهب المدينة ليحفظها سليمة لأجل السلطان ، فحرمهم بذلك من مكافأتهم على قتالهم . مما فت في عضد الجند الأتراك الذين كفوا عن القتال ([191]) .

كذلك ومما يبدو أنه زاد من الضغوط على الحملة التركية على رودس وكما جاء في رواية الفرنسي بيير باراباتر قيام ملك المجر بحرب قوية ضد الأتراك فاز خلالها بقلعتين قويتين ، وقتل ما بين خمسة عشر ألفا إلى ستة عشر ألفا من الأتراك مما دفعهم للتراجع عن مواقعهم ([192]) .

وسواء بسبب تحطم معنويات الأتراك ، أو نتيجة للمقاومة المستميتة التي أبداها الفرسان الإسبتارية ومن معهم للدفاع عن رودس ، وبعد خسائر إجمالية للجيش التركي في الأرواح تراوحت ما بين إثنى عشر ألفا وخمسة عشر ألفا ، فشل الحصار التركي لها ، وبات كل تفكير مسيح باشا منصبا على إنقاذ المتبقي من جنوده ([193]).

([189])E. J. King, op. cit., p. 66.
([190])L`Abbé de Vertot, op., Cit., tome second, p. 618.
([191])Helen J. Nicholson, op. cit., p. 62.
([192])Pierre Barbatre, op. cit., pp.155, 165-6.
([193])Pierre Barbatre, op. cit., p. 162. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 200-1; Setton, Kenneth M., op. cit., vol. ii., p. 359. E. J. King, op. cit., p. 65.

١١ــ وصول سفينتان إيطاليتان لنصرة رودس :

بعد أسبوعين من تلك الهجمة الأخيرة ، وبينما الأتراك ينقلون أدوات الحصـــار وكل أمتعتهم إلى سفنهم ، وصلت أمام رودس سفينتان أرسلهما فيرنانـــد Fernand ملك نابولي (١٤٥٨ – ١٤٩٤م) للمساهمة في فك حصار الجزيرة ، وإن كان الإيطالي سانتو براسكا قد أشار إلى أنهم كانوا ثلاث سفن (١٩٤). وكانت السفينتان تحملان ما بين ثمانمائة إلى ألف جندي والكثير من الأسلحة والمؤن . ولقد قوبلتا برياح معاكسة ، ولمـــا كانت السفن التركية هي الأخرى غير قادرة على التصدي لهما بسبب تلك الرياح ، أمر مسيح باشا بضربهما بالمدفعية لمنعهما من دخول ميناء المدينة ، فأصابت شراع أحـــدهما ، ومع ذلك استطاعت دخول الميناء بعد تحول الرياح عنها (١٩٥) .

أما السفينة الأخرى فقد قضت ليلها تواجه رياحا شديدة . وفي اليوم الثاني هدأت الرياح ، وبينما هي تحاول دخول الميناء تعقبتها سبع شواني تركية في أعالي البحر. ولقد قاوم طاقمها الأتراك طوال ثلاث ساعات ونجح في قتل القائد التركي ، ثم فرت إلى البحر حيث أمضت ثلاثة أيام ، تمكنت بعدها وفي اليوم الرابع من دخول الميناء (١٩٦) .

---

(194)Santo Brasca, op. cit., 123.
(195) Pierre Barbatre, op. cit., pp. 162-3.
(196) Ibid, op. cit., p. 163.

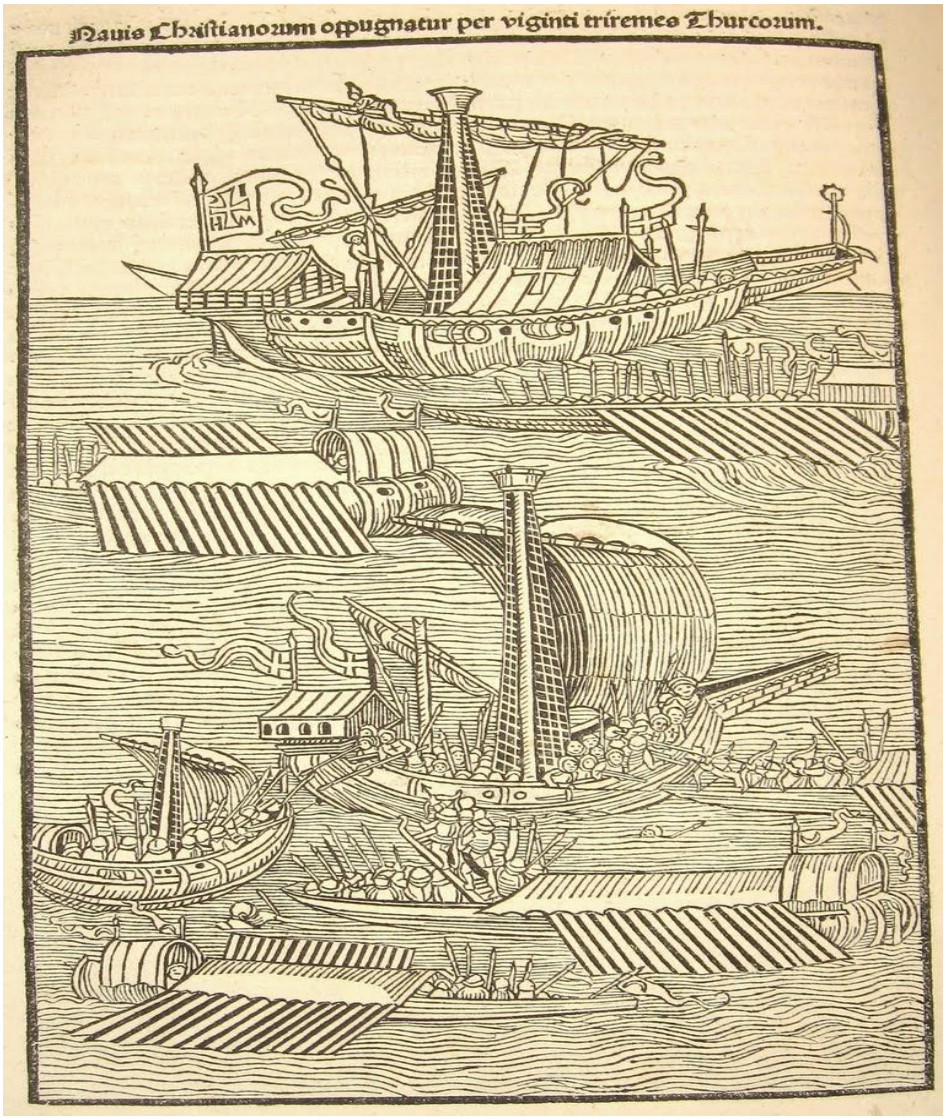

لوحة تصور مطاردة سفن تركية لسفينتين مسيحيتين أمام ميناء رودس (طبعت ١٤٩٦م)

بقيت هاتان السفينتان برودس حتى الحادي عشر من سبتمبر من نفس العام على الأقل ، حيث شاهدهما الرحالة الفرنسي بيير باراتر عندما حل بالجزيرة في ذلك التوقيت، وذكر أنه جاء على متنيهما ما بين ثمانمائة إلى ألف جندي ([١٩٧]) .

([197])Pierre Barbatre, op. cit., p. 157.

نقلت السفينتان بالإضافة للمدد ، رسالة للبابا سكستوس الرابع قُرأت بشكل علني ، حملت أخباراً بقرب وصول إمدادات أوروبية إلى الجزيرة . وبواسطة جواسيسه بالمدينة علم مسيح باشا بانتظار المدينة لتلك النجدات ، وأن سفينتي فيرناند ماهي إلا مقدمة لها . وبهذا الشكل ، يئس الباشا تماما وأصدر أوامره برفع الحصار عن المدينة ورفع مراسي السفن والإسراع بالعودة . وبالفعل ، وفي الثامن عشر من أغسطس أبحر الأسطول التركي من شاطئ رودس حاملا الجيش التركي ومعداته في طريقهما إلى بحر مرمرة تجاه ميناء فيسكو ، ليتم انزال الجيش على ساحله ، ثم واصل طريقه نحو اسطنبول حيث جُرد مسيح باشا على الفور من مقامه العالي ([١٩٨]).

أما على الجانب الآخر فقد نشرت أخبار انتصار فرسان رودس على الأتراك البهجة في كل ربوع أوروبا . وللتو كتب كاورسا نائب مستشار الجماعة مدونته عن هذا الحصار لأجل "امتداح الرب ، وتمجيد الدين المسيحي، وتمجيد فرسان رودس" ([١٩٩]) .

١٢ــ احتفال أهل رودس وفرسان الإسبتارية بالنصر :

عمد أهل رودس إلى الاحتفال بانتصارهم بعد حصار دام قرابة ثلاثة أشهر، حيث أُطلقت المدفعية ، وقُرعت الطبول احتفالا بهذا النصر . ومما زاد في سعادة أهل رودس أن المقدم كان يتعافى من الجروح التي ألمت به في الهجوم التركي الأخير على رودس ، فقد كان أحد هذه الجروح من الخطورة لدرجة فقد فرسانه معها الأمل في شفائه . وأمر المقدم بأن تتم تلاوة القداس في كل كنائس المدينة لأجل أرواح المتوفين من الجند ([٢٠٠]) .

١٣ــ إرجاع أهل رودس انتصارهم لبعض الخوارق:

آمن أهل رودس برجوع الفضل في نجاة مدينتهم من الهجوم الأخير إلى ظواهر ومعجزات خارقة ، كظهور قوات ضخمة مسلحة ترتدي ملابسا بيضاء اصطفت أمام

([198])Anonyme, op. cit., p. 115; Pierre Barbatre, op. cit., pp. 159, 163; Santo Brasca, op. cit., p. 123; Georges Lengherand, op. cit., p. 103. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., p. 203; E. J. King, op. cit., p. 65.

([199])Pierre Barbatre, op. cit., p. 163. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 201-2.

([200])Pierre Barbatre, op. cit., pp. 157, 162. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp. 200, 203-4.

أسوار المدينة لإبعاد الأتراك عنها . كما ادعى بعض الأتراك مشاهدتهم لإمـــرأة أخـــذت تتباهي بأثوابها أمامهم فشغلتهم عن مهاجمة المدافعين عن رودس ([٢٠١]).

وذهب الفرنسي بيير بارباتر إلى أن يهود رودس ذكروا له أنهم شـــاهدوا أثنـــاء الحصار نجما لامعا براقا ، وتشتت أفكارهم نحو ظهوره وهل هو فأل حسن لهم ، أم نذير شؤم عليهم . ويضيف أن الأتراك شاهدوا في السماء صليبا عظيما ذهبيا لامعا كالشمس ممتدا للأرض ، وعليه مشهد المسيح مصلوبا ([٢٠٢]) .

ويزيد بيير بارباتر وهو ما جاء ذكرا مماثلا له في وثيقة أخرى ، أن أحـــد يهـــود المدينة حدثه أنه شاهد صليبا ذهبيا جميلا على درجات سلم أسوار المدينة التي تقـــود إلى حي اليهود ، وبسبب ذلك تحول من فوره للمسيحية وفي المكان نفسه ([٢٠٣]) .

١٤ــ رودس بعد انتهاء الحصار :

لاعتقاد بيير دوبسو بأن العذراء هي التي أنقذت المدينة ، أمر بإنشـــاء كنيســـة كاثوليكية ضخمة باسم القديسة مريم سيدة الإنتصار **Our Lady Saint Mary of the Victory** في أرض اشتراها من اليهود داخل حيهم بجوار السور في المكان الذي شهد انسحاب الأتراك من داخل المدينة . وطلب المقدم بأن يُحمل وكان يومهـــا مصابا إلى هذا المكان ليتم وضع الأساسات في حضوره . وعرفانا بجهود أهـــل المدينـــة ووقوفهم إلى جانب الفرسان الإسبتارية في محاربة الأتراك ، ولأن النصر تم في يوم احتفال اليونانيين بالقديس بانتاليون **Saint Pantaleon** ، أمر بتأسيس كنيسة باسم هـــذا القديس في حي اليهود أيضا ، ليحتفل اليونانيين واللاتين في نفس الوقت بالانتصار . أما بالنسبة لليهود ولإخلاصهم الذي أظهروه خلال الحصار ، رخص لهم وبدعم كامل مـــن البابا سكستوس الرابع بإعادة بناء معبدهم الذي دمره الأتراك ولكن في مكان بديل قريب

([201])Georges Lengherand, op. cit., pp. 103-4; Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p. 69.
([202]) Pierre Barbatre, op. cit., pp. 162-3.
([203])Pierre Barbatre, op. cit., p. 163; Michael Herzfeld (ed.), op. cit., p. 69.

من كنيسة القديسة مريم سيدة الإنتصار ، وهو الكنيس المعروف بالمعبد العظيم **Kahal Gadol** . كذلك أصدر تعليماته بإعادة بناء تحصينات المدينة ([٢٠٤]) .

وأيا كان الأمر ، أرسل بيير دوبسو خبر النصر إلى ملوك أوروبا ، طالباً منهم ارسال المدد للجزيرة في حالة تعرضها لهجوم تركي آخر . ولأن سفينتا فيرناند كانتا تنقلان للجزيرة مدداً من البابا سكستوس الرابع دلالة على اهتمام البابوية بشئونها بعث سفارة إليه في روما لشكره . كما أوفد سفارة شكر أخرى إلى ملك نابولي لمساعداته القيمة التي عاونتهم في تحقيق النصر([٢٠٥]) .

كذلك قام المقدم بشكر كل الفرسان والجنود الذين ساهموا في هذا النصر، وبخاصة النبيل الأراجوني لويس بالافوكس **Lewis Palafox** الذي دافع بقوة عن برج القديس نيقولاس وحائط اليهود . وأمر بتوزيع الذرة على كل أهل الجزيرة ، وأعفاهم من جميع الضرائب لعدة أعوام ([٢٠٦]) .

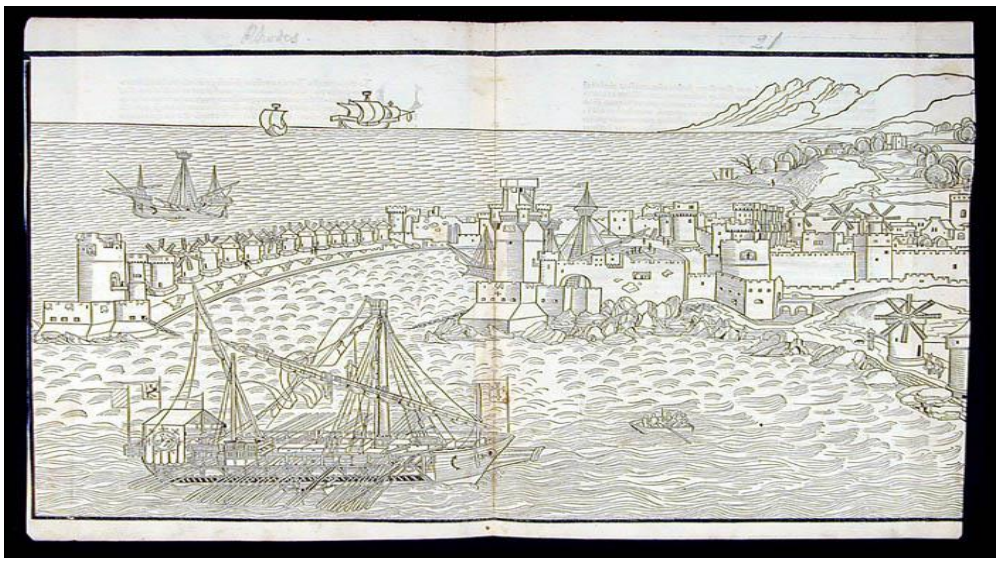

رسم لرودس من سنة ١٤٨٣م يظهر آثار دمار الأتراك للمدينة

([204])Georges Lengherand, op. cit., p.103. Cf. also: Dominique Bouhorus, op. cit., pp.204-5; Joshua Starr, op. cit., pp. 86-7.
([205])Dominique Bouhorus, op. cit., p. 207.
([206])Ibid, op. cit., pp. 208-9.

١٥ــ بعض روايات المصادر عن حصار رودس :

لعل من أبلغ ما جاء في المصادر عن أحوال رودس بعد هــذا الحصــار وخــوف فرسانها من تكراره ، ما يسجله الحاج الألماني فيلكس فابري وتحديدا بعد أربع وعشرين يوما من نهايته من أنه وبعد انتهاء رحلة حجه وآخرين ــ كان بينهم الفرنسي بيير بارباتر والحاج الفرنسي المجهول والإيطالي سانتو براسكا ــ وفي طريق عودتهم وخلال تــوقفهم بجزيرة قبرص ، علموا من إحدى السفن البندقية المارة بها بهزيمة الأتراك في رودس فقرروا التوقف بالجزيرة . وما أن وصلت سفينتهم المسماة كونتارينا بقيادة أوجستينو كونتاريني إلى ميناء رودس يوم الأحد الموافق العاشر من سبتمبر سنة ١٤٨٠م – والتي كانت وفق قوله أول سفينة مسيحية تصل إلى الميناء بعد هزيمة الأتراك وانســحابهم منــه ــ وافــق وصولهم التاسعة ([٢٠٧]) أو العاشرة ليلاً . وبينما بحارة سفينة الحجاج يحــاولون دخــول الميناء، أشعل حراس الأبراج المشاعل وهم يهرولون جيئة وذهابا ظنا منهم أنهــا ســفينة تركية ، وأطلقوا تحذيرات للبحارة بضربهم بمدفع كبير وجهوه نحوهم إن لم يتوقفوا عــن دخول الميناء. فتوسل الحجاج للحراس بألا يؤذوهم وأضاءوا مشاعلا أظهــرت أعــلام السفينة المسيحية . وعندما سمع وشاهد الحراس ذلك أداروا مدفعيتهم ، وأنزلوا أقواسهم. وأعقب هذا قدوم أهل المدينة من كافة جوانبها لمشاهدة السفينة ([٢٠٨]).

عند هذا الحد حياهم أحد مراقبي البرج وسألهم عمن يكونوا ومن أين قــدموا ؛ فسارع أحد البحارة للإجابة بأنهم سفينة مملوكة للحكومة البندقية . ولكن قائد السفينة أوجستينو كونتاريني نهره وسأل بحاراً آخر الصياح بأنهم فرسانا وحجاجا قادمين من ميناء يافا في طريقهم إلى إيطاليا . وذلك لأن قائد السفينة كان يخشى من عدم ترحيب حاميــة رودس وأهلها بهم لو علموا بأنها سفينة بندقية لبغضهم للبنادقة لتحالفهم مع الأتــراك . وعندما أخبر مراقبو الأبراج أهل رودس أن السفينة تحمل حجاجا رحبوا بهم كأصدقاء ،

([207])Anonyme, op. cit., pp. 113-4.
([208])Felix Fabri, op. cit., vol. vii.

بيد أنه لم يُسمح لهم بدخول المدينة خشية الخيانة ، مع السماح للسفينة بإلقاء مرساها خارج الميناء حيث قضى الحجاج ليلتهم بها ([٢٠٩]).

وفي الصباح وقبل استيقاظ الحجاج قدم للسفينة بعض سادة رودس لتفحصها ورؤية الحجاج ، وبصحبتهم دخلت السفينة وحجاجها لميناء المدينة . وشقت السفينة طريقها عبر جثث الأتراك التي كانت مياه البحر تلفظها وتكدس بها شاطئ البحر . ويقول فيلكس فابري أن أسوار المدينة وأبراجها كانت محطمة بشكل يثير الأسى ، وعندما دخلوها وجدوها في غاية التدمير ، وشوارعها وحاراتها ممتلئة بحوالي ثمانية آلاف من الأحجار الكبيرة والصغيرة التي ألقتها مدافع الأتراك عليها . ولقد أمضى فيلكس فابري وصحبته أربعة أيام في رودس أنفقوا خلالها كما يسرد أموالا ضخمة للشح الشديد لكافة الأشياء في المدينة التي نهبها ودمرها الأتراك ([٢١٠]).

أما الإيطالي سانتو براسكا الذي زار المدينة على نفس السفينة التي أقلت فيلكس فابري فقد قال إنه لم يشاهد في الجزيرة سوى تلك الأحجار ذات الأحجام المدهشة التي ألقتها مدافع الأتراك ، مما دفع أوجستينو كونتاريني ربان سفينة رحلته إلى الاحتفاظ بواحد من تلك الأحجار حجمه إحدى عشرة راحة يد ([٢١١]) . ولعل من اللافت للنظر أن الإيطالي بيترو كاسولاس الذي وصل مدينة رودس في الخامس من يوليو سنة ١٤٩٤م أي بعد أربعة عشر عاما من نهاية الحصار ، أشار إلى قوة مدينة رودس التي جعلتها تقاوم حصار الأتراك العنيف سنة ١٤٨٠م ، والذي كانت آثاره لا تزال واضحة للعيان حتى زيارته للجزيرة بما يجعل المرء وفق قوله يظن إن الجزيرة يومها كانت في حاجة لمعجزة لتنجو من هذا الحصار الذي لم تكن القوى البشرية تقدر عليه وحدها . وأضاف بيترو كاسولاس أنه لا يمكن للمرء أن يتجول في أي مكان في رودس دون مشاهدة أحجار بأحجام مريعة أطلقتها مدافع الأتراك على المدينة خلال الحصار ، وكان بعضها ضخماً للغاية بشكل لا يمكن لعقل بشر أن يتخيل أنه ألقي على المدينة بواسطة مدافع . ولقد

([209])Ibid, op. cit., vol. vii.
([210]) Ibid, op. cit., vol. vii.
([211]) Santo Brasca, op. cit., pp. 123 - 4.

ذكر له بعض ممن شهدوا الحصار أن المدينة تلقت نحو خمسة آلاف حجر مـــن مختلـــف الأحجام خلال الحصار . و خلص بيترو كاسولاس مما شاهده من آثار لـــذلك الحصـــار باعتقاد بأنها ستظل باقية حتى يوم القيامة ([٢١٢]).

١٦ــ رودس بعد انتهاء الحصار :

أيا كان الأمر ، وبعد رفع الحصار ، يبدو أن فرسان الإسبتارية من خارج الجزيرة اطمئنوا إلى زوال الخطر الذي كان يتهدد الجزيرة ، فشرعوا في مغادرتها بداية من الشهر التالي لنهاية الحصار على متن السفن التي عادت لسيرتها الأولى بالتوقف في الجزيرة . فقد حملت سفينة الحجاج المشار إليها أعلاه في الخميس الموافق الرابع والعشرين من ســـبتمبر فرسانا في طريقهم لإسبانيا ([٢١٣]).

ويضيف فيلكس فابري بعض التفصيلات بهذا الشأن بقوله وعندما حان وقـــت رحيل السفينة انضم لركابها عدد من الفرسان الإسبتارية ، وبعض اليهود الذين حـــاربوا بشجاعة خلال الحصار ، وكذلك بعضا ممن كانوا أسرى لمدد طويلـــة لـــدى الأتـــراك وأُرسلوا إلى رودس مع الجيش التركي ، فغنموا الفرصة وفروا إلى المدينة خلال الحصار . ومن بين من هربوا من أسر الأتراك نبيل نمساوي كان في حالة مزرية قرر السيد جـــورج **Master George** ــ النبيل الذي جاء فيلكس فابري في معيته ــ وضعه تحت حمايته وإعادته إلى ألمانيا .

([٢١٢]) Pietro Casola s`, op. cit., pp. 205 - 6.
([٢١٣]) Pierre Barbatre, op. cit., p. 163.

خـــــاتمـــة

خاتمة القول إنه وفي إطار طموح السلطان محمد الفاتح في مد وتوسعة دولته ، عزم على إخضاع جزيرة رودس لسيادته سياسياً أو عسكرياً . ولما أعيته الحيلة في الحصـــول على اعتراف حكامها من الإسبتارية بتبعيتهم له سواء بالترغيب أو والترهيب ، قرر اتخاذ الخيار العسكري عله يحقق بالسيف ماعجز عن تحقيقه بالدبلوماســـية ، فأرســـل جيشـــا وأسطولا حاصراها برا وبحراً قرابة الثلاثة أشهر تعرضت خلاله الجزيرة لثلاث هجمـــات رئيسية بالإضافة لبعض الهجمات الصغيرة . وكان أكثر أماكنها تعرضاً للـــهجوم بـــرج القديس نيقولاس مركز الدفاع الرئيسي عن المدينة وميناءها ، فضلا عن حي اليهـــود في جانبها الجنوبي الشرقي كونه أضعف مواقع المدينة . ورغم التفوق التركـــي في العـــدد والعتاد ، إلا أن فرسان الجزيرة من اللاتين وأهلها من اليونانيين أظهروا وحدة ودفاعـــا بطوليا عن جزيرتهم مكنهم من هزيمة واحداً من أقوى الجيوش يومها ، فأجلوا إلى حـــين مصيرا كتبه القدر لها .

تبقى الإشارة أن القدر لم يكن رحيما بجزيرة رودس ، فقد ضربها زلزالا قويـــا في العام التالي للحصار ضاعف من أحزانها وخسائرها . غير أن الفرسان الإسبتارية تغلبـــوا على أحزانهم ، واستطاعوا إصلاح كل ما خربه الحصار ، وإعادة بناء المدينـــة وقلعتـــها وخندقها وطرقها لتعود قوية كما كانت قبله ، كما شهد بـــذلك البلجيكـــي جـــورج لينجهيرا الذي زار الجزيرة بعد نحو خمس سنوات من نهايته ([٢١٤]). وبهذا الشكل استمرت الجزيرة تمثل حجر عثرة في طريق الهيمنة العثمانية على المنطقـــة إلى أن قُـــدر للســـلطان سليمان القانوني الانتقام لهزيمة سنة ١٤٨٠م ، واخضاعها للسيادة العثمانية سنة ١٥٢٢م ، وإخراج الفرسان الإسبتارية منها إلى جزيرة مالطة ، لتطوي بذلك صـــفحة التـــاريخ الوسيط بالجزيرة ، وتُفتح بها صفحة التاريخ الحديث .

([214]) Georges Lengherand, op. cit., p.103.

مصادر ومراجع البحث

أولا المصادر :

Anonyme,

Le Voyage de La Saincte Cyté de Hierusalem avec la Description des Lieux, Portz, Villes, Citez et Aultres Passaiges, Fait l` An Mil Quatre Vingtz, Estant le Siege du Grant Turc à Rhodes et Regnant en France Loys Unziesme de ce nom, Publié par M. Ch. Schefer., Paris, 1882.

Felix Fabri,

The Book of the Wanderings of Brother Felix Fabri (Circa 1480-1483 A. D), trans. By Aubray Stewart, in. Palestine Pilgrim`s Text Society, vols. 7 - 10 reprinted from the edition of 1887 – 1897, U. S. A, 1971.

Georges Lengherand,

Voyages de Georges Lengherand Mayeur de Mons en Haynaut, à Venise, Rome, Jérusalem, Mont Sinaī & Le Kayre, 1485 – 1486, avec Introduction, Notes, Glossaire, par Le Marquis de Godefroy Ménilglaise, Mons, 1861.

Guillaume Caoursin,

Descriptio obsidione Rhodiae, Translated from the Latine of Guillaume Caoursin to the English by Jhon Kay (Poete Lawreate) under the Title: The Dylectable Newesse, and Tithynges of the Gloryous Victorye of the Rhodyans Agaynst the Turkes, Reprint of the 1490 Edition, W. Caxton, Westminster, included by A. Murray in. " The Crusades" , London, 1870.

Jean Molinet,

Chroniques de Jean Molinet publiées pour la première fois d`après les manuscript de la bibliothèque du Roi par J. A. Buchon in. Collection des Chroniques Nationales Françaises, tome. XLIV, Paris, 1828.

Letter,

Letter from jem son of Sultan Mohammed the Conqueror to Peter d`Aubusson (dated 9th of February 1478 A.D), in. Dominique Bouhorus, The History of Peter d` Aubusson , London, 1679, pp. 104-5.

Mary Dupuis,

Relation du Siége de Rhodes en 1480 par Merri Dupui témoin oculaire, dans. Abbé Réné d` Aubert de Vertot, Histoire de Chevaliers Hospitaliers de S. Jean de Jerusalem, tome. II, Paris, 1726.

Meshullam Ben R. Menahem of Volterra,

Rabbi Meshullam Ben R. Menahem of Volterra (1481), translated and edited with an Introduction by Elkan Nathan Adler, in. Jewish Travellers, second edition with a Preface by. Cecil Roth, New York, 1966.

Michael Herzfeld (ed.),

New Light on the 1480 Siege of Rhodes, in. The British Museum Quarterly, vol. 36. No. 3/4, Autumn 1972.

Obadiah Jaré da Bertinoro,

The Letters of Obadiah Jaré da Bertinoro, Edited with an Introduction by. Elkan Nathan Adler, in. Jewish Travellers, second edition with a Preface by. Cecile Roth, New York, 1966.

Peter d` Aubusson,

Peter d` Aubusson Letter`s to German Emperor dated 13th of September 1480, in. John Taaffe, The History of the Holy, Military, Sovereign Order of St. John of Jerusalem; or Knights Hospitallers, Knights Templars, Knights of Rhodes, Knights of Malta, in four volumes, London, 1852, vol. III., pp.53-67.

Pierre Barbatre,

Le Voyage de Pierre Barbatre à Jerusalem en 1480, edition critique d`un manuscript inédit par Pierre Tucco – Chala et Noël Pinzuti, dans. Annuaire Bulletin de la Société de l`Histoire de France, Annèes 1972-3, Paris, 1974.

Pietro Casola`s,

Canon Pietro Casola`s Pilgrimage to Jerusalem in the Year 1494, annotated by. Margaret Newett, Manchester, 1907.

Santo Brasca,

Viaggio in Terrasanta di Santo Brasca 1480 con l`Itinerario di Gabriele Capodilista 1458 a cura di Anna Laura Momigliano Lepschy, Milano, 1966.

ثانيا مراجع البحث:

A. G. B. Schayes,

Notice sur la Relation Inédite du Voyage à Jerusalem Entrepris en 1505, par Pierre de Smet dit van Steebroeck, Bourgeois de Bruxelles, dans. Revue de Bruxelles, Juillet 1839.

Biographie Universalle Ancienne et Moderne,

Rédigé par une société de Gens de Lettres et de Savants, tome Septième, Paris, 1813.

Charles Le Beau,

Histoire du Bas – Empire, Paris, 1836.

Dominique Bouhorus,

The History of Peter D` Aubusson, London, 1679.

E. J. King,

The Grand Priory of the Order of the Hospital of St. John of Jerusalem in England, Foreward by Major General Earl of Scarbrough, reprinted, U. S. A., 2004.

Eric Brockman,

The Two Sieges of Rhodes 1480-1522, London, 1969.

Franz Balinger,

Mehmed the Conqueror and His Time, Translated from the German by Ralph Manheim, Princeton University Press, U. S. A, 1992.

Gabor Agoston,

Guns for the Sultan, Military Power and the Weapons Industry in the Ottoman Empire, U. S. A, 2005.

Helen J. Nicholson,

The Knights Hospitaller, U. k, 2001.

Hugh WM. Davies,

Bernhard von Breydenbach and his Journey to the Holy Land 1843-4 a Bibliography compiled by Hugh WM. Davies, London, 1911.

John Taaffe,

The History of the Holy, Military, Sovereign Order of St. John of Jerusalem; or Knights Hospitallers, Knights Templars, Knights of Rhodes, Knights of Malta, in four volumes, vol. III., London, 1852.

Joseph Alhadeff,

The Jewish Community of Rhodes: A Short History, Issue of Sephardi Hebrew Congregation of Zembabwe, Harare, Zembabwe, 2006.

Joshua Starr,

Romania, The Jeweries of the Levant after the Fourth Crusade, Paris, 1949.

L`Abbé de Vertot,

Histoire des Chevaliers Hospitaliers de S. Jean de Jerusalem appelez depuis Les Chevaliers de Rhodes et aujourdhui Les Chevaliers de Malte, tome second, Paris, 1726.

Marcello Maria Marrocco Trischitta,

the Knights of Malta, a Legend twards the Future, Rome, N. D.

the Oxford and Cambridge review and University magazine,

January – june 1846 , vol.ii, London, 1846.

Nigel Guy Wilson,

Encyclopedia of Ancient Greece, 2006.

Setton, Kenneth M.,

Pierre d` Aubusson and the First Siege of Rhodes (1480), in. Kenneth M. Setton., The Papacy and the Levant, 1204 – 1571: vol. II, The Fifteenth Century, Philadelphia, 1978, Reprinted 1997.

Theresa M. Vann,

1- Guillaume Caoursin`s Descriptio Obsidione Rhodiae and the Archive of the Knights of Malta, in. The Crusades and the Military Orders Expanding in the Frontiers of Medieval Latin Christianity, edited by Zsolt Hunyadi and Jozsef Laszlovszky, Budapest, 2001.

2-The Fifteenth – Century Maritime Operations of the Knights of Rhodes, in. The Military Orders, vol. 4, " On Land and by Sea, edited by Judi Upton Ward, Ashgate Publishing, U. K, 2008.

Thomas Milner,

The Ottomans Empire: The Sultans, The Territory and The People, London, 1799.

William Weir,

50 Battles that changed the World, the Conflicts that Most Influenced the Course of History, U. S. A., 2001.